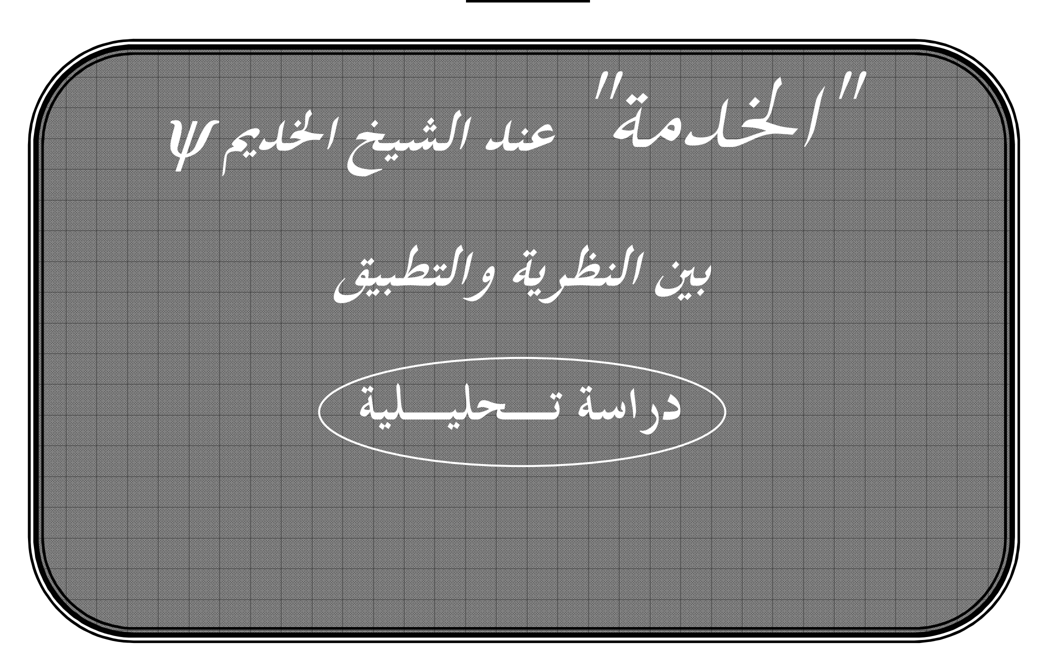
جامعة شيخ أنت جوب



كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الموضوع:



"الخدمة" عند الشيخ الخديم ψ

بين النظرية والتطبيق

دراسة تـــحليـــلية

رسالة لنيل شهادة المتريز

إعداد

سرين امباكي فال

إشراف

أحمد تيجان جالو

العام الجامعي: **2008/2009م**



FACULTE DES LETTRES ET SCIENCES HUMAINES
DEPARTEMENT D'ARABE

SUJET :

«*AL- KHIDMA* » *CHEZ CHEIKH AL-KHADIM ENTRE THEORIE ET PRATIQUE*

ETUDE ANALYTIQUE

MEMOIRE DE MAITRISE

Présenté par

Serigne Mbacké FALL

Sous la direction de

M. Amadou Tidiany DIALLO

Année universitaire : 2008-2009

إهداء

- إلى روح الشيخ أحمد بن محمد بن حبيب الله البكي؛ عبد الله وخديم رسول الله ρ
- وإلى روح الشيخ إبراهيم فال "نبراس المريدين" أهدي هذا الجهد الذي أعتبره متواضعا في سبيل النضال لرفع راية العلم والمعرفة.

كلمة الشّكر والتقدير

بعد الحمد لله الحميد المجيد، ثم الصّلاة والسّلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، إنّه لشرف لي أن أبدأ بتقديم شكري، وامتناني إلى المفكّر والباحث (الككيّ) مصطفى جوب صاحب "نظرية الخدمة" الذى بذل النفس والنفيس في سبيل انجاح هذا العمل، وإلى المفكّر والباحث أيضا عافية أحمد انيانغ الذي لم يبخل عليّ بعلمه ووقته، وإلى المشرف الأكاديمي أحمد تيجان جالو بملاحظاته المنهجية وتوجيهاته السديدة ونظرته الثاقبة.

أشكرهم على اهتمامهم الكبير وحرصهم البالغ على متابعة خطوات سير هذا العمل من خلال اللقاءات المتعدّدة والمثمرة التي استفدت منها الكثير. وإلى كافة أعضاء هيئة التّدريس في قسم اللغة العربية بجامعة شيخ أنت جوب بدكار وخاصة ماغي انجاي رئيس القسم، وأيضا إلى والدي ووالدتي اللّذين بذلا كلّ نفيس في سبيل انجاح مهمتي الإسلامية، أسأل الله أن يطيل بقاءهما وأن يجزل ثوابهما.

وإلى كل من ساعدني ماديا ومعنويا أو شاركني من قريب أو بعيد حتى جاء هذا العمل الدراسيّ على هذا الشكل الذي أسأل الله أن يكون عملا خالصا لوجهه وأن ينفع به.

مقدّمة

بعد التحميد والتمجيد لله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان ورزقه نعمة العقل الذي يعتبر(الجوهرالثمين) ، وعلّمه ما لم يكن يعلم ، فتميّز بذلك عن سائر المخلوقات ، ثم بعوث صلوات وأتمّ تسليم على النبي الخاتم محمد بن عبد الله ρ الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة.

بادئ ذي بدء، يعتبر هذا الموضوع عندنا في غاية الأهميّة وذلك لما يجسّد (المنظومة الخديمية) ويفتح أيضا منغلقاتها التي بدونه لا يمكن للباحث الأكاديمي أن يضع يده في صلب مشروع الشيخ الخديم التجديدي النهضوي التنويري.

وقد عمدنا إلى دراسة هذا الموضوع لما نجد فيه من منطلقات **إيدولوجية وحضارية** تمكن إضافة لبنة جديدة إلى الصرح الخديمي الذي مازال ــ ولن يزال ــ يعلوا ويسمو لبناء وعي حضاري جديد يواكب الألفية الثالثة، واللحاق أيضا بركب الحادثة وما بعد الحادثة.

دواعي اختيار الموضوع

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدّة يمكن حصرها كالتالي:

من خلال اطلاعاتي كالعادة على ما كتب حول فكر (الشيخ أحمد بمب البكي) ومنهجه الإصلاحي ودعوته الإيدولوجية من قبل جهابذة من العلماء، فقد وقع اختياري على موضوع "الخدمة" وهي كما ذهب إليه أحد العلماء أطروحة – من أكبر المفكرين الأفارقة ذوي نزعة صوفية تجديدية وتنويرية قدمّها (الخديم) للعالم كتجربة معيشة صهرتها الظروف وأملتها مقررات السماء–، وكما بدا لي أيضا أن شرمذة من الباحثين قد تضلّعو لدراسة هذا الموضوع إما بالتنظير أو بالسرد التاريخي.

وبعد دراسة جادّة واطلاع مثمر لهؤلاء الباحثين ، فقد وجدت أن ما كتبوه مادة خامة يجب استغلالها من طرف الباحثين الواعدين كتجربة أولى لخوض غمار البحث العلمي الجاد، وعلاوة على ذلك قد لاحظت تلك الأبحاث المكتوبة حول الفكر المريدي **باللغة العربية** من القلة بمكان، حيث كان جلّ الدراسات تنصب على البعد التاريخي فحسب دون المساس باللبّ[1] ، وكما أن المكتبة العربية – وخاصة الإفريقية منها ـــ لم تحظ بنصيبها الوافر من إنجازات الشيخ الخديم الأدبيّة ، مما جعل أبناءها يجهلون أعمالا فنّية راقية تضيف ثراء مطلوبا إلى الساحة الثقافية في عمومها.

[1] – ونقصد باللبّ هنا الأبعاد التي تناولها (الككيّ) مصطفى جوب في بحثه المعنون بـــ "نظرية الخدمة"، التي شارك بها المؤلف في ملتقى تيكماطين السنوي للفكر الإسلامي في موريتانيا ، الدورة السادسة، من 14-15 يوليو 2006م.

وهذه الدراسة قد تفتح نافذة جديدة ليطلع القارئ الإفريقي و العربي على وجه مشرق من وجوه مفكريّ الإسلام المعاصرين، وتسهم في نفس الوقت في جعل دائرة الرؤية أكثر اتساعا أمامهم وليفهموا بشكل أفضل مجريات الأمور.

وهكذا بتوفيق من الجلال وعون منه رأيت لمّ شعث تلك الأبحاث المبعثرة هنا وهناك لتتضح صورة الفكر الخديمي على الوجه الأكمل حسب المتاح، عسى أن تكون مساهمة جادة في حقل الدراسات الأكاديمية ولتكون أيضا زادا لجيل الغدّ.

إشكاليات البحث

من ضمن الإشكاليات التي لاقيتها خلال البحث أذكر منها:

1 . فالكلمة "المريدية" باعتبارها مفهوما فقد وردت في مؤلفات الشيخ الخديم إلا أنها منحصرة في المنظور البغداديّ، وهي كطائفة أو طريقة أو جماعة مستقلة لم يشر إليها الشيخ الخديم لا من قريب ولا من بعيد في كتاباته ، والسبب الرئيسي لذلك ربما هو أنه كان يرى مهمته تجديدية فقط. فمن الطبيعي إذن أن تكون أول إشكالية منهجية تلتقي به كثيرون من المنتسبين إليها، وغيرهم ممن يبحثون عن حقيقتها في حيرة من أمرها: **هل هي طريقة ؟ أم أنها حركة ؟**

2 . ومن ضمن الإشكاليات أيضا إختلاف الباحثين حول نشأة " المريدية " وتاريخ ظهورها كحركة إصلاحية في مسرح العراك الإيدولوجي في الساحة السنغالية في القرنين السابع عشر والعشر ين للميلاد.

منهج البحث

فالمنهج الذي استعملته خلال سير هذا البحث منهج تكامليّ أي دراسة " الخدمة" وتحليلها من الناحية التنظيرية والتطبيقية . كما اخترت أيضا المنهج الوصفيّ وذلك بدراسة النصوص الشعرية ووصفها في نفس علمي وأسلوب بين طلي.

الصعوبات

"الخدمة" بما أنها منظومة جديدة على الساحة الثقافية السنغالية فمن الطبيعي أن تكون أولى إشكالية تلتقي بها الباحث هي قلّة المراجع والمصادر التى قد يرجع إليها خلال بحثه، لذلك لاقيت صعوبات كثيرة جدّا في سبيل جمع مادة هذا البحث.

ومن العراقيل التى تعرضت لها على سبيل المثال لا الحصر:

عدم توفير الوسائل المعينة لظروف البحث العلمي الجاد [مادّيا] وخاصة أنى وقت البحث قد بلغ بي الحاجة في يوم من الأيام إلى بيع جهاز الحاسوب الذي كان بحوزتي للذهاب إلى مدينة (طوبى) حيث كانت مقرا لإقامتى خلال البحث الميداني لتكون الصورة أقرب إلى المثال. ولكن بتوفيق من الله العلّي القدير، عملت جاهدا على تكملة هذا العمل تشجيعـــــــــــــــا لأخي الصغير في المدرسة العسكـــــرية للصحّة «Ecole Militaire de Santé» كي يواصل الدرب علما بأنّ من جدّ وجد ومن سعى لعمل الخير فيرى سعيه مشكورا.

خطة البحث

إنّ محتوى هذا البحث ينقسم إلى بابين في كل منهما فصلين مع ستة مباحث، وينتهي أخيرا بخاتمة وبعض توصيات ومقترحات.

الباب الأول: الخديم و"الخدمة" قراءة استكشافية

- توطئة حول دخول الإسلام واللغة العربية في السنغال

الفصل الأول: مدخل حول شخصيةالشيخ الخديم ψ ومكانته

- **المبحث الأول :الشيخ الخديم أحمد بَمْبَ البكي ψ وإنتاجه الأدبي**
- **المبحث الثاني: الحركة الإصلاحية "المريدية" / أسسها ومبادؤها**
- **المبحث الثالث: الشيخ الخديم ψ وشهادات وجهاء عصره له**

الفصل الثاني: " الخدمة " وحبكتها الدّلالية

- **المبحث الأول: الجذور اللّغوية " للخدمة " وانزياحاتها الدّلالية**
- **المبحث الثاني: تباشير ظهور " الخدمة "**
- **المبحث الثالث: لــبّ نظرية "الخدمة "**

الباب الثاني : "الخدمة " في جانبيها التنظيري والتطبيقي

- توطئة حول الأدب السنغالي العربي
- حول الشعر الخديمي وأغراضه وخصائصه ومكانته

الفصل الأول: البعد الإنطلوجي(الوجودي) والإبستمولوجي(المعرفي) والميتافيزيقي

- **المبحث الأول:البعد الإنطلوجي(الوجودي) (أ– الدّعاء ب– الشّكر)**
- **المبحث الثاني: البعد الإبستمولوجي(المعرفي) (جــ – الرّثاء د – الغزل)**
- **المبحث الثالث: البعد الميتافيزيقي (هــ – الصّلاة و التسليم على النبيρ و – المدح)**

الفصل الثاني: البعد الإيدولوجي

- **المبحث الأول: قراءة خديمية للحضارة الغربية**
- **المبحث الثاني: حوارالأديان / قراءة في رائعة الشيخ الخديم τ الشهيرة بــ "فُزْتِ"**
- **المبحث الثالث: البعد الحضاري**

الباب الأول

الخديم و"الخدمة"

قراءة استكشافية

توطئة حول دخول الإسلام واللّغة العربية في السنغال

وخلال السطور التالية سنحاول إلقاء الضوء بإيجاز على بلاد السنغال لإعطاء خلفية تاريخية حول دخول الإسلام واللّغة العربية في السنغال.

السنغال بلد يقع في أقصى غرب إفريقيا شمال خط الاستوائي شرق خط غرينتش ، وتقدر مساحته بحوالي 196.722 كلم مربع [2] حيث تطل على المحيط الأطلنطي من جهة الغرب ، ويحدّه شمالا الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، وجنوبا جمهوريتا غينيا كوناكري وغينيا بساو ، وشرقا جمهورية مالي ، من الغرب إلى الشرق داخل البلاد على طول 300 كلم جنوبا تقع دولة غامبيا .

والسنغال من حيث الانتماء العرقي والديني مجتمع يتكوّن من جماعات متماسكة ومختلطة منذ عهد قديم ، ولكن رغم هذا التماسك والتداخل اللغوي لم تكن تجمعها وحدة سياسية أو لغوية ، بل احتفظت كلّ جماعة باستقلالها السياسي ومقوماتها الثقافية[3]. إن اتصال السنغال بالعالم العربي في وقت مبكر أدى في كون الغالبية العظمى من سكان البلاد مسلمون بالرغم من وجود قلة من المسيحية.

وإذا أمعنا النظر في تاريخ غرب إفريقيا بصفة عامة ، وهذه البلاد بصفة خاصة ، نلاحظ أنه من الصعب تحديد التاريخ الموثوق به لوصول الإسلام واللغة العربية في البلاد ، وذلك لأن اعتناق أهل البلاد الإسلامَ لم يتم عن طريق حادثة يؤرّخ لها كما هي في مناطق أخرى ، وعليه فالخلاف يبقى متباينا وكبيرا بين المؤرخين والباحثين وغيرهم.

تنوعت الآراء وتباينت المواقف ، فهذا **بابكر حسن قدر ماري** يشير إلى أن هذه القارة والبلاد السنغالي على اتصال وثيق بالعرب والأمم الأخرى قبل مجيء الإسلام بقرون ، وخاصة أن جنوب شبه الجزيرة العربية خضعت لفترة طويلة من الزمن بحكم الأحباش بأقصى اليمن [4] .
وذهب **جورتي سيس** إلى القول بأن دخول الإسلام في السنغال كان حوالي سنة 632 م [5] حيث كانت مصر مقرا للجيش الإسلامي بقيادة المجاهد عمرو ابن العاص ...

---

[2] ــ (ويل) مصطفى، " تصور مقترح لتصميم اللغة العربية للمرحلة الثانوية العمومية في السنغال "، رسالة ماجستير، الخرطوم، 2006م، ص: 18.

[3] ــ (سيلا) عبد القادر، " المسلمون في السنغال "كتاب الأمة، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، شوال 1406 هـــ، ص: 24.

[4] ـــــ (قدر ماري) با بكر حسن ، " المجلة العربية للدراسات اللغوية "، العدد 11 ، السودان، ص : 45 .

[5] ــ(سيس)جورتي، " السنغال والثقافة الإسلامية " ، دار شمس المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، 28 شارع جامع العيسوية ، دار السلام ، 1411هـــ /1989م، ص : 18

والباحث السوداني **مهدي ساتي** يذهب إلى القول بأنه : " فقد تعرّف السنغال على الإسلام منذ القرن الأول لانتشاره في شمال القارة " [6] .

وهناك باحثون كثيرون يميلون إلى رأي جورتي سيس حيث يرون أن الإسلام واللغة العربية دخلا إلى غرب إفريقيا منذ القرن **السابع الميلادي** عن طريق التجار العرب المسلمين الذين كانوا يفدون إليه من شمال القارة عبر الصحراء الكبرى . والغالبية العظمى من المؤرّخين يكادون يتفقون على أنّ الإسلام انتشر وعظم أمر المسلمين وازدادوا قوّة في القرن **الثالث عشر الميلادي** تأثيرا بنفوذ المرابطين في المغرب العربي.

فمن الباحثين أيضا من ينفي مساهمة أي أجنبي في إدخالها ــــ اللغة العربية ــــ داخل البلاد ، مؤيدا أنّ المجتمع السنغالي نفسه هو الذي شقّ الجبال في مغامراته ، متحملا المتاعب والمشقّات حتى استطاع أن يكتشف هذه اللغة وآدابها ويسعى في نشرها .[7]

وأخيرا يقول **عثمان ديا** : " فالإسلام حليف العربية في اقتحام مجاهل البلدان وأدغالها للانتشار معها ، هو الذي أدخلها إلى هذا البلد، لكون الشخص إذا نطق بشهادتي الإسلام وأصبح مسلما مطالبا على الفور بأن يعرف شيئا من العربية يمكّنه من أداء ما عليه من العبادات والفرائض ... " [8] .

والجدير بالإشارة هنا ، أنه مما سبق ذكره يتضح أنّ اللغة العربية وصلت إلى السنغال في وقت مبكّر ، وإن لم يتّفق المؤرّخون على تحديد تاريخ موحد لوصولها ، وأن من أهم مظاهر دخولها إلى هذه المنطقة أنها دخلت سلميا ، خلافا لبعض المصادر التي أشارت إلى أنّ الإسلام واللغة العربية دخلا على المنطقة بالسيف ؛ فها هو **عامر صمب** يذهب إلى هذا الرأي حيث يقول: " إذا كان الإسلام العربي فاتحا ومجاهدا في بلاد السودان ... ودخل السنغال بالسيف والتجارة وتعليم الشعائر الدينية ... أول من اعتنق الإسلام وهم الأمراء والملوك " [9] .

[6] ــــ (ساتي) مهدي ، " مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي في السنغال " ، ط1، المركز الإسلامي الإفريقي ، شعبة البحوث والنشر ، الخرطوم، السودان ، 1410هــ / 1990 م ، ص : 4.

[7] ــــ (كه) شارنو الحبيب ، " الثقافة العربية الإسلامية في السنغال نماذج من حضور اللغة العربية " ، مراجعة: الخليل النحوي من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1994م ، ص : 28.

[8] ــــ (ديا) عثمان ، " التجانية والأدب السنغالي العربي " ، ج 1، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وأدبها ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس ، 1410 ــ 1411هــ / 1989 ــ 1990م ، ص : 96 .

[9] – أنظر : " أغراض الشعر السنغالي العربي " للطالب / محمد انجما كاه ، بحث لنيل شهادة (متريز) ، جامعة الشيخ أنت جوب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، دكار ، 2006-2007م ، صص : 7-14.

إذا حاولنا التعليق على رأي عامر صمب فيمكن القول إنّ الإسلام دخل السنغال على مراحل منها مرحلة سلمية وأخرى ليست كذلك ، فالمرحلة الأولى تتمثّل عن طريق التجارة وتعليم الشعائر الدينية ، وذلك من العرب المسلمين الذين كانوا يفدون إليه من شمال القارة عبر الصحراء الكبرى . والمرحلة الثانية تتمثّل في توغّله إلى الأقاليم والمناطق الداخلية وانتشاره بالسيف عن طريق المجاهدين السنغاليين أنفسهم، وبتعليم الشعائر الدينية في المجالس والمدارس القرآنية والزوايا الصوفية وغيرها.

الفصل الأول

مدخل حول شخصيّة
الشيخ الخديم ψ ومكانته

المبحث الأول

الشيخ الخديم أحمد بَمْــبَ البكي ψ وإنتاجه الأدبي

أ ـــ نشأته:

الشيخ الخديم هو أحمد بن محمد بن حبيب الله بن محمد الخير، المعروف عند العامة بـــ "سَرِينْ بَمْبَ"[10] والملقّب أيضا بـــ " خادم الرسول ρ" أو " العبد الخديم " .

أما ولادته فقيل عام " شرع "[11] (1270هـــ / 1853 م) وقيل عام "بشرع" (1272هـــ / 1855م) في قصر أبيه في (امبَكِ بَوُل Mbacké Baol). قال العلامة الحاج حامد بن عثمان الفوتيّ التِّلِرِي[12] :

قد ولد الخديم من قد شرعـــــــا	**شريـــــعة المخـــتار "عام شرعـــــا"**
ثم مضى لربه عام " شمــــــوش"	**وعمره" عين "و" دال" كالشموس**
وقـــــــيل إن عمره مـــــــآل	**نلـــت الـــمنـــى وســـرك الـــــمآل**
ليلـــة الأربعاء في الـــمحـــــرم	**من بعد عشريـــــن مضت فلتعلــــــم[13]**

وأبوه محمد بن حبيب الله هذا ـــ المشهور لدى العامة بـــ (مُـــمَّر أنتَ سَلِ) ، كان عالما فقيها نبيلا ، يرتضيه المسلمون إماما، ويحبّه الأمراء والملوك، لما تحققوا من علمه وورعه، وعرفوا من صدق لهجته وإصابة قضائه .

منشؤه في (بَوُل Baol) في قرية (امباكِي Mbacké) بناها جدّه محمد والد أبيه حبيب الله وأسكنها بعض أولاده. أقطعها له هَمَرِ انْغُوني أمير (كَجُور Cayor) و (بَوُل Baol) . ووالده كان عالما أخذ العلم بالرحلة عن مدارس (انجَامبُور Ndiambour) ثم بعده ذهب إلى (سَالُوم Saloum) وأخذ عن أكابر شيوخها وأجلّها أمثال الشيخ محمد صَالّ من أهل

---

[10] - Serigne Bamba، وسرين كلمة ولفية (WOLOF) تعني المعلم أو العالم، راجع : الإحالة رقم :28 ، ص :18.

[11] - التاريخ بالحروف (الحساب الجملي) وهي طريقة كانت مستعملة قديما، ولكل حرف من حروف المعجم عدد يقابله، فمجموع الأعداد يساوي التاريخ المطلوب، فتكون " شرع " وفق الحساب الجملي تعادل عام 1270هـــ / 1853 م وهكذا... . (أنظر : " حساب الجمل أو التاريخ بالحروف " لمحمد اليعلا وي ، في حوليات الجامعة التونسية VIII / 1971م).

[12] ـــ من علماء القادرية في السنغال (1889 - 1956 م) له قصائد في مدح الشيخ مجموعة في " ديوان الشعراء السنغاليين مع ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري" ـــ مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم بطوبى ، صص : 90 ـــ 103 (أنظر عن حياته: عامر صمب " الأدب السنغالي العربي " I / 182 ـــ 195) .

[13] ــــ الداغاني، (جوب) الشيخ محمد الأمين ، " إرواء النديم من عذب حبّ الخديم " ، تحقيق : محمد شقرون، مؤسسة الأزهر الإسلامية بالسنغال ، طوبى ، 2006م ، صص : 50ـــ51.

بَامبَا وإلى بلده يضاف اسم الشيخ أحمد بمب من عزّته عند تلميذه والد الشيخ . وتلك عادة في البلد يسمّون أبناءهم بأسماء شيوخهم ووالديهم، أو ينمون إلى بلادهم وقراهم.

وحين أكمل والده ـــ الشيخ مُـــمّر أنتَ سَلِ ـــ الفنون تصدّى للتدريس والإفادة فطار صيته كأنـــما ورث بركة شيـــوخه فتهافت إليه التـــلامذة من كل صوب من (ســـالُوم Saloum) و(بوُل Baol) و(كجُور Cayor) و(انجامبُور Ndiambour) وكذلك أبناء شيوخه.

نشأ الشيخ أحمد بمب في بيئة مثالية صالحة، وقد رسخت في قلبه عقائد الدين الإسلامي الحنيف التي أخذه عن والدته جارة الله مريم – الشهيرة بـــ (مَامْ جَارَة بوُصُو) فجعلته تهون عليه الحياة الفانية وينظر إليها إلى أهلها المقبلين إليها نظرة السخرية والازدراء. نشأ – فيما بين هذه الأطوار المختلفة – فحفته العناية الربّانية وقادته يد التوفيق الصمداني إغلى الصراط المستقيم، فتجلّى في جميع حركاته وسكناته ما هو مخالف لما ألف فيمن هو في سنّه ؛ من عدم المخالطة والعكوف على مواضع التعبّد ، كالمساجد ولزوم مجالسة الصالحين وهو في جميع هذا، مشتغل جدّا لاشتغال في كل ما يعنيه لا غير ، لم تقع منه هفوة فتنقم عليه ، ولم يعرف اللهو واللعب[14] .

ب ـــ تعلّمه وتعليمه :

نشأ وتربى في حجر والده ، فحفظ القرآن الكريم وأتقنه صبيا تحت رعاية خاله الشيخ محمد بن حماد بن علي البوصوبي شقيق أمه ، ومن شيوخه الذين تعلم منهم الشيخ أحمد بمب خاله محمد بوصو، وعمه صمب تُكُلُورْ كه ابن خالة والده الذي قرأ عليه مبادئ العلم حتى برع فيها.

وكان يأتي القاضي مَجَخَتِ كَلَ[15] ليأخذ عنه دقائق العربية وأسرارها ، وكان الشيخ أحمد بمب يأتيه بأبيات من الشعر قالها ، ربما يُكسر له القاضي ، فينظر إلى نحوها وعروضها. كما أخذ طرفا من علم البيان والمنطق عند عالم يقال له محمد بن محمد الكريم الديماني من علماء موريتانيا في مدينة (انْجَانْج)[16] . وحين ناهز العشرين من عمره وقد ضرب في أكثر فنون العلم بسهم وافر،

---

[14] – انظر: (البكي) الشيخ محمد البشير، " منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم" ـــ مخطوط ـــ القاهرة ، (لا ت) ، ص: 37.

[15] – كان قاضيا للأمير لَتْجُورْ ـــ الذي سنتعرف عليه لاحقا في الإحالة رقم:27، ص: 18 ـــ وكان عالما شاعرا وفقيها متربعا على قمة الأستاذية في العلوم عند معاصريه (ت 1319هـــ / 1902م) . (أنظر عنه : عامر صمب ، " الأدب السنغالي العربي " II / 48-85) .

[16] ـــ Ndiagne قرية بَتَار (patar).

فقد كان الشيخ أحمد بمب يجمع إلى ذلك التطلع إلى علوم السادة الصوفية، سالكا نهجهم بنيّة صادقة، وهمّة عالية في الآداب والزهد ملتمسا المعرفة الحق.

وهكذا أصبح الشيخ أحمد بمب بحرا في العلوم الشرعيّة والعربية والعقلية... وفي العلوم الظاهرة التي كانت تكون عنها الرياسة في بلده فضلا عن العلوم الوهبية التي خص بها من لدنه ـــ تبارك وتعالى ـــ[17]، لعل الدليل على ذلك أن القاضي مجخت كل صار كلما عرض عليه الشيخ أحمد بمب شيئا من شعره قال له : إيت به أحفظه عنك، أي الشأن في حفظه لا في تصحيحه.

ولاّه الشيخ ممر أنت سل جلّ التدريس لما عُلم منه البراعة والنشاط والنصح لثقته بعلمه وفهمه إلى أن انقطع إليه أخيرا معظم أصحاب والده واكتفوا به كمعلم لهم. فبقي الشيخ في وظيفة التعليم والتدريس في حياة أبيه، وكذلك بعد وفاته في محرم سنة ثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة مدة سنة وزيادة. وكان في أثناء هذه المدة مدرّسا صرفا دائم التطلع إلى علوم السادة الصوفية.

جـــ ـــ انخراطه في سلك السادة الصوفية :

مما سبق يتبين أن الشيخ أحمد بمب كان متطلعا إلى علوم القوم ومتخلقا بأخلاق السادة الصوفية، فكان في بداية أمره يعتزل الناس ويخلو بنفسه للصلاة والدعاء والكتابة والقراءة في أغلب الأحيان.

وقد تلقن من والده الورد القادري ، لأنه هو وخاله الجليل محمد بوصو كانا من ذويه ، فلم يزل يعمل به ؛ ومعوله: الكتاب والسنة. فجعل همّه في جمع الكتب والمطالعة، فجمع كتبا كثيرة من فقه وسيرة وتصوف ولقي كثيرا من الرجال أثناء تطواف متعدد ، كان الباعث عليه البحث عن الكتب والرجال وزيارة مواضع الصالحين[18]. وجمع في هذه المدد كثيرا من تواليف مشائخ الطرق وعلمائها كتأليف (الكنتي) وولده في الطريقة القادرية ... وكذلك تواليف الشاذلية وأحزا بها ككتب ابن عباد وزروق وابن عطاء الله وكذلك كتب التجانية من " جواهر المعاني " و " الرماح " و " الجيش " و " البغية " في أورادهم وفي التصوف، إلى غير ذلك من الكتب

---

17 ـــــ انظر: (البكي) الشيخ محمد البشير، " منن الباقي القديم ... " صص: 174 ـــ 175.

18 ـــــ المرجع نفسه ، ص : 44.

النفيسة لهم ولغيرهم كاليدالي وابن مثال ومن قبلهم من مدوني الطريقة الصوفية من المتقدمين، كصاحب " القوت " وصاحب " المدخل " وصاحب " الإحياء " وغيرهم، ومن المأثورات عن الجنيد و سري ومعروف والبسطامي، ورجال الرسالة والحلية[19].

فظفر بكتب كثيرة مما كان فيه أرضه (السنغال Sénégal) ... ، ومما كان في أرض البياضين[20] التي طاف في كثير من أنحائها للرغبة نفسها[21].

كما أخذ الشيخ أحمد بمب الورد الشاذلي من بعض مشيخة الشاذلية[22] فعمل بها ثمانية أعوام ثم بعد ذلك أخذ التجانية عن بعض مشيختها فعمل بها تلك المدة أو أكثر[23].

وهنا يحكي صاحب " إغناء العديم بخبايا أوراد الخديم" عن الشيخ الخديم ψ أنه كان يستعمل الأوراد الثلاثة في جلسة واحدة مجتمعة ، فقال الخديم ψ: " إن أول ما أخذ من الأوراد القادرية ثم بعد ذلك الشاذلية ثم التجانية ... " وسمعت-أي الداغاني- من الثقاة أنه قال : " كنت في أول أمري إذا جلست للورد ختمت الأوراد الثلاثة قبل أن أقوم صباحا ومساء " [24].

وهكذا انخرط الشيخ أحمد بمب في سلك السادة الصوفية فكان يعمل بهذه الأوراد الثلاثة، وبعد مدة من الزمن قصده الناس لما رأوا فيه من أوصاف مشائخ الواصلين فكثر المبايعون والآخذون عنه بعد شروعه في تجديد الطريقة الصوفية داخل البلاد ــــ سنفصل الحديث عنه في المبحث التالي ــــ. وكان لا يفتر عن الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والتأليف ومدح الرسول ρ إلا ما كان من قضاء حوائج السائلين والنصح والتوصية. ومكث الشيخ على هذه الحالة حتى أورثه الرسول ρ الأوراد الثلاثة عن نفسه بلا واسطة المشائخ، والدليل على ذلك يمكن استبانتها في معرض ردّ الشيخ أحمد بمب على أسئلة الحاكم العام الفرنسي التي وجهها إليه ليقف على حقيقة دعوته ومضامين حركته، فأجابه فيما أجابه: "**... وأمّا وقتُ دخوله – أي الشيخ أحمد بمب – هذه الطريقة – أي طريقة الإرادة – ، فإنه – أي الشيخ أحمد بمب – أخذها من الناس الذين كان يظن أنّهم**

---

[19] ــــ المرجع السابق ، صص : 44-45 .

[20] ــــ من البياض وهو ضد السواد، وهي صيغة عربية لها استعمال شائع في المنطقة، ويقصد به البيض من سكان موريتانيا.

[21] ــــ المرجع السابق، ص: 44.

[22] ــ لعله أخذه من باب بن محمد بن حمدي بن الطالب أجود الحاجي المتوفى سنة 1898م. (أنظر : " إرواء النديم .... " صص : 76-77)

[23] - أنظر : (البكي) الشيخ محد البشير، المرجع نفسه ، ص : 44.

[24] ــــ الداغاني ، (جوب) الشيخ محمد الأمين، " إغناء العديم بخبايا أوراد الخديم" ، (لات) ، ص:7 ــ مخطوط - على الموقع الإلكتروني : www.wikimouridiya.org

محققون[25] ثم بدا له أنّ الأمر لم يكن كذلك فغيّبه الله تبارك وتعالى إلى البحر تلّقاها أي الأوراد الثلاثة من رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – بلا واسطة بسب "خدمته" له وجعل الله تبارك وتعالى القرآن والإسلام وديعتين له والله على ما نقول وكيل، والسلام"[26].

د ـ شخصيّته:

ولقد علم في شخصية الشيخ أحمد بمب أنه كان تقيا ورعا متواضعا لله محبا للحق والعدل، مبغضا للظلم والجور قوي الإرادة. والأهم من ذلك أنه كان لا يقبل من أمراء عصره وسلاطينه مداراتهم عكس ما كان عليه والده من مداراتهم خوفا على العيال وأعراضهم.

وخير دليل تعرب عما ذهبنا إليه حكاية مشهورة جرت بين الشيخ أحمد بمب وسَرِينْ طَيْبَ نُمْبِ مارْ سِلّ (Serigne Taïba Ndoumbé MAR SYLL)الذي كان من مستشاري الأمير لَتْجُور[27] ، والذي قُدّم على صلاة جنازة الشيخ مُمّر أنتَ سَلِ.

فلما انتهوا من الصلاة عليه والدفن قام سرين طيب خطيبا وواعظا ليثبت الجماعة، ثم لما أنهى الخطبة قال: أين سرين بمب[28] ؟ فلبّى وقام وهو من طرف الجماعة ثم قال له الخطيب : أدن، فدنا بعض الدُّنو من حيث يراه ويسمع هو منه ويردّ الجواب بلا تكلف صياح وإنما وقف ثـــمّة كراهة تَخْطية الرقاب، ثم قال له الخطيب بعد أن خصّه بأحسن تعزية : إني أطلب منك بعد أن تسير معي ومع جماعة منا أجلاء نظراء الوالد إلى الأمير فنعزّيه فيه تعزية تقرّ بها عينه لأنه كان خليله وحبيبه وشيخه ومشاوره ؛ وكذلك نكلمه فيك وننصبك عنده فيقيمك حيث كان أقام والدك الراحل ، فلا ترى منه إلا خيرا وكرامة ، هذا هو الرأي عندي فما قلت أنت ؟ فأجابه الشيخ أحمد بمب وقال: أما ما قلت من التعزية والتوصية فحسن، فجُزِيتُم خيرا ووقيتم ضيرا. وأما

---

[25] –"ومن بدو علامته حرصه على الإستفادة من كل من سمع عنه خيرا أو ظنه به، وقبوله لكل من ظهر عند الأئمة صلاحه، واعتقاده في كل من ثبت عنده ولايته من المتقدمين، وسلوكه بأورادهم ودوامه عليها إلى أن انكشف عنه الغطاء عندما انتهى إلى حيث قدر الله استخلاصه له جلّ وعلا..."
راجع: "منن الباقي القديم..."، ص: 310.

[26] – أنظر : " المجموعة " ، تشتمل على بعض أجوبة للشيخ الخديم ψ وشيء من اشاراته وبعض وصاياه لبعض مريديه ، ط 1، على نفقة الشيخ عبد الأحد البكي ، طوبى،السنغال ، 1405 هـــ / 1985 م ، صص: 28- 30. (أنظر: البحث، ص:32).

[27] ــــــ هو الأمير لتجور انغون لاتير جوب (Lat Dior Ngoné Latyr DIOP) من أمراء كجور الذين لهم موافق بطولية شهيرة ضد القوى الاستعمارية الفرنسية في السنغال، ولد في كير أمادو يالا (Keur Amadou Yalla) سنة 1842م ، وكان على علاقة مع الشيخ الخديم ψ أحد مستشاريه الذي طلب منه أن يترك خوله وحشمه وسلاحه ويجاره على الإسلام والعزلة ، فيكون في أمان من كل هم وغم من أهل الدنيا .... ولم يمض أسبوعان من هذه المحادثة حتى انقض عليه جيش للاستعمار فقاتلهم حتى اثخنته الجراح فمال عن جواده شهيدا عند بئر دقله (Dekhelé) 1886م ودفن في بيته خفية عن أنصار المستعمرين. (أنظر عنه: " منن الباقي القديم... " صص : 71-72).

[28] ــــــ (Serigne Bamba) هكذا كانوا يسمونه في ذلك الوقت. راجع: "إرواء النديم..."، ص: 58.

أمر الأمير فأنا لا أذهب إلى الأمراء ولا أرغب في دنياهم، ولا أطلب الكرامة إلا من الله رب الأرباب. فانكسرت الجماعة وهدرت صدورهم. وأما الصُلحاء فللعجب من هذه الكلمة القاصية لظهر محبي الدنيا برزت من ابن لهم شاب وضع قدمه على رقاهم واطلع.
وأما العامة فللعجب من امتناعه من هذا العز الحاضر والغنيمة الباردة .

وسفّهوه فبنى على قول الجماعة هذه النونية الشهيرة التي فيها الفاصلة بين الحق والباطل، والقاضية أيضا على رغبات محبي الدنيا، فقال:

قَالُوا لِي ارْكَنْ لأَبْوَابِ السَّلَاطِـــــــين … تَحُــزْ جَوَائِزَ تُغْنِي كُلمَا حِـــــين
فَقُلْتُ حَسْبِيَ رَبِّي وَ اكْتَفَيْتُ بِـــــــهِ … وَ لَسْتُ رَاضِي غَيْرَ العِلْـــمِ وَ الدِّين
وَ لَسْتُ أَرْجُو وَ لَا أَخْشَى سِوَى مَلِكِي … لأَنَّهُ جَلَّ يُغْنِينِي وَ يُنــــــجِيـــــنِي
أنّى أُفَوِّضُ أَحْوَالِي لِمَنْ عَجَـــــــزُوا … عَنْ حَالِ أَنْفُسِهِمْ عَجْزَ المَسَاكِـــــين
أَوْ كَيْفَ يَبْعَـــثُنِي حُـــــبُّ الحُطَامِ إِلَى … جِـــوَارِ مَنْ دُورُهُـــمْ رَوْضُ الشَّيَاطِينِ
إِنْ كُنْتُ ذَا حَزَنٍ أَوْ كُنْتُ ذَا وَطَـــرٍ … دَعَوْتُ ذَا العَـــيْنِ قَبْلَ الرَّاءِ وَ الشِّينِ
وَ هْوَ المُعِينُ الذي لا شَيْءَ يُعْجِـــــزُهُ … وَ هْوَ المُكَوِّنُ مَا شَا أَيَّ تَكْـــوِينِ
إِنْ شَاءَ تَعْجِيلَ أَمْرٍ كَانَ ذَا عَجَـــلٍ … أَوْ شَاءَ تَأْجِيلَهُ يَبْطَـأْ إِلَى حِيـــنِ
يَا مَنْ يَلُومُ فَلَا تُكْثِرْ وَ دَعْ عَذَلِـــي … إِذْ لَسْـــتُ مِنْ فَقْدَتِي الدُّنْيَا بِمَحْزُونِ
إِنْ كَانَ عَيْبِيَ زُهْــدٌ فِي حُطَــامِهِمُ … فَذَاكَ عَيْبٌ نَفِيسٌ لَيْـــسَ يُخْزِينِ[29]

هذا ومن خلال جواب الشيخ أحمد بمب يظهر فيه شخصيته الصادقة في التوكل على الله Y ويتجلى فيه أيضا قوة عزيمته في التولي عن الدنيا والهروب منها عكس ما كان عليه بعض الشيوخ ومحبي الدنانير وهواة الجاه من الإقبال إليها مسرعين.

إنتاجه الأدبي :

وفي هذه النقطة سنحاول تصنيف المكتوبات الخديمية حسب مراحل حياة الشيخ أحمد بمب الفكرية والعرفانية [30] إلى ثلاثة مراحل : مرحلة ما قبل الغيبة البحرية ، ومرحلة الغيبة البحرية، وبعدها .

---

[29] – أنظر: الداغاني ، (جوب) الشيخ محمد الأمين، " إرواء النديم .... " صص : 57-61 .

[30] ــــــ وقد أفادنا عافية أحمد انيانغ ، معلم اللغة العربية والعلوم الشرعية ، وهو أحد خطباء مسجد طوبى الجامع خلال البحث الميداني أن كتاباته نوعان: أ) الفكرية التعليمية. ب) شعرية : وهي الدرية في مدائح النبوية وصلوات العرفانية والمناجاة الربانية (وذلك أثناء لقاء معه في طوبى،يوم السبت 2009/01/03م) .

وفيما يلي قطعة نفيسة نتناولها للدرس والتمحيص لوجاهتها لما نحن بصدده من تصنيف كتابات الشيخ الخديم ψ ، وهي رغم طولها النسبي إلا أننا نوردها كما هي ثم نتبع ذلك بتعليق عليها .

يقول الشيخ الخديم ψ : **" بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بحق وجه الله تعالى الكريم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وامح ما كتبته قبل عام جيسش [31] وهب لي تجديده من بكسش [32] لوجهك الكريم يا من أخرجني عام جيسش من غيرك وغير رسولك صلى الله تعالى عليه بآله وصحبه وسلم وبارك وجعلت ما كتبته من عام جيسش أحب إليك من غير القرآن وغير أحاديثه عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم تعليم ليعلم كل من تعلق بي أنني توجهت إلى الله تبارك وتعالى بالتواليف تكون فيها منافع المسلمين والمسلمات في الدنيا والآخرة ، وأن جميع ما كتبته في غيبتي البحرية "خدمةٌ" لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلمَ وباركَ وذكرٌ وجهادٌ لا غير ولذلك منعت من نقله وسترته وأما ما قبلها من المكاتيب فلم يقبل منه شيء ومن أراد أن ينتفع في الدنيا والآخرة فليجتهد فيما كتبت في بقية مكثي عام شهدنا بكرم فتلك المكاتيب فاقت غير القرآن والحديث قطعا ولها بركة عظيمة لم تكن في غيرها من التواليف"** [33]

أولا : مرحلة ما قبل الغيبة البحرية : (قبل عام جيسش)

وهذه المرحلة تمثل بداية شروعه في التأليف في العلوم النقلية والشرعية، وهي فترتان :

الفترة الأولى: وتعتبر مرحلة تمهيدية، وتبدأ من 1290هـ / 1872 -1873م إلى 1300هـ /1882 - 1883م. وفيما يلي بعض المؤلفات الفكرية التعليمية التي صدرت فيها:

1. "مواهب القدوس في نظم نثر شيخنا السنوسي " نظم فيه نثر " أم البراهين " هي العقيدة الصغرى للإمام السنوسي التلمساني.
2. " الجوهر النفيس في عقد نثر الأخضري الرئيس [34]" نظم فيه نثر الإمام الأخضري.

---

[31] ـــ تعادل 1313هـ الموافق 1895 - 1896 م .

[32] ـــ تعادل 1322هـ الموافق 1903- 1904م .

[33] ـــ (البكي) الشيخ أحمد بمب، "ديوان الفيوضات الربانية بالأعوام والشهور في القصائد المطرزة"، ط1، انتاج جمعية أتباع الشيخ الخديم لطبع ونشر تراثه العظيم، طبع ونشر بإذن من الخليفة الخامس الشيخ صالح البكي ابن الشيخ المترجم له أيضا والخليفة العام للمريدية (وقتئذ) ـــ مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم، طوبى ، السنغال، ص: 503.

[34] ـــ وقد تم طبعها في جمهورية مصر العربية سنة 1344هـ الموافق 1926 م في مطبعة الشرق (القاهرة) على نفقة العارف بالله مولاي أحمد بن الشيخ الكامل القطب الواصل مولاي أبي بكر التبر ـــ مخطوط ـــ في عهدة (الككي) . راجع: صص: 102-103 من البحث.

3. " ملين الصدور أو مذكر القبور [35]" ونقل فيه عن الإمام الغزالي واليدالي.

الفترة الثانية : وتعتبر مرحلة نشأة "المريدية" ، وتبدأ من 1301هـــ/ 1883- 1884م إلى 1312هـــ/ 1894- 1895م ، وفيها صدرت بعض من المؤلفات الدرية العرفانية والمناجات الربانية منها :

1. " مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديماني [36]"
2. " مطلب الفوزين ... "
3. "مقدمة الخدمة في الصلاة على نبي الرحمة أو مفتاح السعادة في الصلاة على خير السادة"

والشيخ محمد البشير ابن المترجم له يذهب إلى أن جل ما كان يتعلم به الناس في هذه المرحلة هي فرائض الأعيان من توحيد وفقه وتصوف، لكونه ـــ الشيخ أحمد بمب ـــ أعلم بما يناسب زمنه وما هو أولى بالتقديم[37]. ويمكن التعليق على قوله : " وامح ما كتبته " وذلك باعتبار عدم الرضى بالمكتوب في هذه المرحلة لكونها جسّدت بداية سلوكه وسيره إلى الله تعالى ، وعلى هذا يقول : " كنت حينئذ كأعمى يلتمس الهداية ممن علم ومن لا يعلم ... " [38] .

وأما قوله: " فلم يقبل منه شيء "هذا القول (فمنسوخ)[39] ، بدليل أنه قرر فيما بعد أن الله تبارك وتعالى قبل منه جميع ما كتبه في مراحل سيره إلى الله Y حيث يقول :

قبلت لي من أسش [40] لبلسش [41] منبها في ذاك عام لسش[42](*)

---

[35] ــــ وقد أكد الشيخ محمد البشير البكي ابن المترجم له أن هذا الكتاب : "هو أول ما قرر في التصوف وأول ما تلألأت فيه وجهته ومطمح همته، لعبت بها أيدي التلامذة حتى فقدت صحتها فصبها في قالب هذه المنظومة " منور الصدور .."، لم تختلف عن الأولى إلا في نقط قليلة لإختلاف المقامين ، لأن الأولى في البداية والثانية في النهاية ، أما التقريرات والحدود فلم تختلفا فيهما ". (راجع: " منن الباقي القديم..." صص: 118- 119).
و الباحث (الككي)مصطفى جوب ، صاحب "نظرية الخدمة "سبط مور خوج كمب جوب (MOR KHOUDIA COUMBA DIOP) صاحب "مقدمة الككي "في النحو . وله عدة دراسات حول المريدية ، وقدشارك في ندوات دولية بدراسات ذات الصلة بالحركة المريدية؛ يذهب إلى القول إن هذه النسخة تم نسخها من قبل الشيخ لما رأى فيها من انتحالات لعبت بها أيدي النساخ، فعمد إلى انتاجها في ثوب جديد وسماها " منور الصدور لدى المنازل وعند الدور " وذلك عام دكسش 1324هـــ الموافق 1906م بعد العودة من الغيبة البحرية. (وذلك في لقاء معه في طوبى، يوم الأربعاء 28 / 01 / 2009م)

[36] – راجع : "مسالك الجنان ..." التي يمكن إعتبارها من ناحية أنّها نظرية السلوك والسير ، وأيضا "جاورت الله" التي يمكن إعتبارها تجربة العبد الخديم Ψ العملية ، وخلاصة حياته الروحية ، وهي مكونة من حروف اسمها.

[37] ــــ راجع : (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه . ص : 72.

[38] ــــ الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين ، " إرواء النديم ... " ص : 75.

[39] ــــ كما يذهب إليه (الككي) أيضا .

[40] ــــ تعادل 1301هـــ الموافق 1884م .

[41] ــــ تعادل 1322هـــ الموافق 1904م .

[42] ــــ تعادل 1330هـــ الموفق 1912م .

(*) (البكي) الشيخ أحمد بمب " نور الدارين "، زاد المريدين من قصائد خديم خير المرسلين ، ج 6، دار المنن قصائد ، الطبعة الإيطالية، برلنك، ص :11.

ثانيا : مرحلة الغيبة البحرية:

وتعتبر هذه المرحلة ابتداء من سنة 1313هـ /1895- 1896 م إلى 1323هـ /1904-1905م. وقد قال في الصدد التحدث بالنعم عن تلك المواهب اللدنية التي نالها في الغيبة البحرية المباركة :

باهى رسول الله كل الأنبيآ   عليهم أبقى سلامي ربـــــيآ

بغربتي عشر سنين "بخدم "   خالصة لذي الوجود والقدم[43]

ومن مؤلفات هذه المرحلة :

1. " جالبة المراغب في آجل كعاجل للراغب "[44]
2. " رمنا شكور الذي بالكاف والنون ما شاء يفعل من باد ومكنون "[45]
3. " رضيت عن المولى "
4. " ولقد كرمنا بني آدم " قصيدة مقيدة بحروف الآية الكريم.
5. " ألا إنني أثني على خير منعم "
6. " لرب غفور "

والشيخ محمد البشير يحكي لنا: أن الشيخ أحمد بمب قال له ذات يوم: **" الحمد لله ما ازددت يوما بما وجب الإيمان به، ولم أزدد تحفظا من الورع ولا حبا في الخير ولا قياما بالعبادات مذ كلفت إلى الآن". فقلت له : ما ازددت به في الغيبة إذن ؟ فتبسم وقال لي : " ازددت كثيرا منه المعرفة والوصول واليقين بمراتبه ، ومواهب لا تتناهى"** [46]. وقوله: " منعت من نقله وسترته" في هذه المرحلة، وذلك لأسباب يمكن التعليق عليها:

أ) أن هذه الكتابات ذكر خالص لله سبحانه وتعالى ، و"خدمة" خالصة أيضا لرسوله ρ.

---

43 ـــــ الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين ، " إرواء النديم ... " صص: 233 ــ 234.

44 - راجع: الإحالة رقم: 274، ص:103 .

45 ــ قصيدة مطرزة بحروف قوله تعالى: (رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلي والدي...) نظمها في غابون (Gabon) أثناء الغيبة البحرية 1895 م ــ 1902 م ، حثّ فيها على الإعتماد على الذات والاستغناء عن عبدة المادة من المستعمرين . وهو في لجّة المحنة أكد أنه لا يمد يده إلى النصارى عبيد الماء والطين .(راجع: " منن الباقي القديم... " صص: 277 – 347)

46 ـــــ (البكي) الشيخ محمد البشير ،المرجع نفسه . ص : 83.

ب) كما أنها جهاد، فحذر منها لاشتمالها بالدعاء على الكفار، فقال منبها ومحذرا أنه لو لم يترك الكتابة مجاهدا به لمات بالوباء كل كافر. ومطلع القصيدة كما أوردها الشيخ الأكبرψ هي :

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بحق وجه الله تعالى الكريم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه كما جعلت هذه الأبيات من معجزاته الكامنات ليعلم الناظر أن خطي إلى إلهنا أحبّ خط:

جاهدت بالخط سنين وحـــــدي	**من لم يكن موحدا ذا جحـــد**
بالخـــط جـــاهدت عــــدو الله	**عشرة أعـــــوام بذكـــر الله**
من عام جيسش[47] لعام جكسش[48]	**وقبل الجميع عـــام هكسش[49]**
فاليوم قـــد صـــرفت خطـــي إلى	**تجـــديد دين الله واهـــب الإلى**

وقال أيضا:

لم يبق لي سوى النصيحة لـــمـــن	**عاصرهم لوجه مالك الزمن[50]**

ثالثا : **مرحلة ما بعد الغيبة البحرية** : **(من عام جيسش)**

وهي ابتداء من سنة 1324هـ / 1905-1906م إلى 1345هـ / 1926-1927م، وهي فترتان، وهذه بعض من المؤلفات التي صدرت خلال هذه المرحلة:

الفترة الأولى: وفيها صدرت بعض المؤلفات الفكرية التعليمية منها:

1. " منور الصدور لدى المنازل وعند الدور [51]"
2. " سعادة الطلاب "
3. "تزود الصغار "

الفترة الثانية : وفيها صدرت بعض المؤلفات الدرية العرفانية والمناجاة الربانية منها :

1. " نور الدارين في خدمة الحامي عن العارين "

---

[47] ـــ تعادل 1313 هـ / 1895-1896م .

[48] ـــ تعادل 1323 هـ / 1904-1905م.

[49] ـــ تعادل 1325هـ / 1906 ـ 1907م.

[50] ـــ (البكي)الشيخ أحمد بمب ،وهي قصيدة ـ مخطوطة ـــ في عهدة عافية أحمد انيانغ .

[51] ـــ راجع: الإحالة رقم : 35 ، ص :21 .

2. " جاورت الله "

3. " مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح "

وفي هذه الفترة قال إن مؤلفاته: " فاقت غير القرآن والحديث قطعا ولها بركة عظيمة لم تكن في غيرها من التواليف" [52] وذلك لأسباب منها :

أ) لتحققه بالمعرفة واليقين بمراتبه .

ب) باعتبار انتهاء سيره إلى الله تبارك وتعالى ، وفيها جاوره .

ج) وأيضا لاشتمالها على أسماء الله الحسنى ، وبركات الصلاة والمدح على خير البرية ρ، وفي ذلك يقول :

قصيدتي فاقت قصائد الكرام ولي تقود أبدا خير المرام[53] (*)

هكذا كانت حياته ψ حافلا بالعلم والتأليف والكتابة ، فقد خلف للمكتبة الإسلامية كمية كبيرة من التراث إلى أن أتاه أمر الله ، فانتقل إلى جوار ربه وذلك في 20 من شهر المحرم 1346 للهجرة النبوية ــ عليه وعلى آله وصحبه الكرام أفضل الصلوات وأتم التسليم ــ، الموافق 19 من شهر يوليو سنة 1927 لميلاد المسيح ــ عليه السلام ــ.

****

---

52 ــــ وهذه الجملة موجودة في آخر هذه القطعة التي نحن بصدد دراستها.

53 ــــ (البكي) الشيخ أحمد بمب ،" صان إلــاهي "، مطبعة شرح عيسى نجك ، دكار ، السنغال ،ص : 16.

(*) – وذلك خلال البحث الميداني إثر لقاء مع عافية أحمد انيانغ في طوبى ، يوم الأربعاء 2009/01/21 م .

المبحث الثاني

الحركة الإصلاحية "المريدية" / أسسها ومبادؤها

من الأهمية بمكان أن نتعرض لمصطلح " المريد " كما هو معروف في تاريخ الفكر الصوفي أولا على وجه العموم ، ثم إلى بيان طريقة توظيف الشيخ الخديم ψ له واستثماره إيدولوجيـــا ـــ عسى أن نصل في النهاية ـــ إلى توضيح إشكالية منهجية " المريدية " تظهر عن حقيقتها .

البعد الاصطلاحي الصوفي " للمريد "

كما هو معروف في تاريخ الفكر الصوفي ، فإن مصطلح – المريد - نشأ في مدينة (بغداد)، ويعني صدق توجّه الإرادة نحو السير إلى الله سبحانه وتعالى .

والصوفيون الأوائل قد استنبطوا هذا اللفظ من آية وردت في حق أهل صفّة مسجد الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حيث يقول الله عز وجل: [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي **يريدون** وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ... [54]] كما يعبر ايضا عن أول مقام المتصوف وبدء طريق القاصدين إلى الله سبحانه وتعالى فهو إذن **كلمة جامعة** لكل مبتدئ يسلك طريق القوم ، ولذلك نجد الأقطاب الصوفية بالاجماع يسمون تلامذتهـــم بـــ " المريد " .

فـــ " المريد " لدى أصحاب الاتجاه الخلقي الصوفي هو سالك الطريق عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته ، إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق[55].

وجاء أيضا في كتاب " التعريفات " للجرجاني : " المريد هو المجرّد من الإرادة"[56] . وهي أيضا "كلمة مشتقة من الإرادة الصادقة في كل من قام بوصف منها"[57] .

---

[54] ـــ سورة الكهف، الآية: 28

[55] ـــ (الحفني)عبد المنعم، " معجم مصطلحات الصوفية "، ص : 242 (نقلا عن كتاب " دراسات في التصوف والأخلاق" للدكتور سامي عفيفي حجازي ، ص : 61)

[56] ـــ أستعمل اللفظ منذ القديم ومع بدايات التصوف ، فقد ذكرت في أقوال للجنيد (297هـــ / 910مـــ) ألفاظ الإرادة والمريد.

(أنظر: " مدارج السالكين " II صص:369،366، 453)

[57] ـــ(البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه ، ص : 68

فــ "المريد " على موجب الاشتقاق من له إرادة ، كما أن العالم : من له علم ، لأنه من الأسماء المشتقة، ولكن " المريد" في عرف أصحاب الاتجاه الخلقي الصوفي ، من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريدا ، كما أن من لا إرادة له على موجب الإشتقاق لا يكون مريدا .[58]

فمصطلح " المريد" رغم تعدد معانيه (أنظر : كتاب " عوارف المعـــــــــــارف"[59] وكتاب"مصطلحات التصوف[60] " فإنه يعبر باتفاق الصوفية عن مقام المبتدئ السائر في طريق القوم بصرف النظر عن انتمائه المدرسي الخاص .[61]

البعد الإيدولوجي الصوفي "للمريد "

والشيخ أحمد بمب ψ يقول في كتابه " مسالك الجنان ... " الذي لا يعد خلاصة فكره في علم التصوف فحسب، بل إضافة إلى ذلك، نقد للحالة الفكرية في عصره واستجابة عن مطالب النخبة المثقفة آنذاك عن علم التصوف بشكله ونسخته القديمين:

فكل ورد يورد المريــــدا لحضرة الله ولن يحيـــــدا

سواء انتمى إلى الجيـــــلاني أو انتمى لأحمد التيجـــــاني

أولسواهما من الأقــــطاب إذ كلهم قطعا على الصواب

فكلهم يدعون المريدين إلى طاعة رب العرش حيثما جلا

بالاستقامة فلا تسخر أحد منهم ولا تنكر عليهم أبـــــد

وقد علّق صالح سلام[62] على هذه الأبيات بتحديد زمان قراءة النص المذكور ومكانها واللحظة التاريخية التي تمت فيها ، فنصّ على : " أن القارئ هنا ليس الشيخ أحمد بمب كفرد من أفراد مجتمعه بل القارئ هو الحضارة السنغالية الإسلامية بكل أبعادها التاريخية والروحية والفكرية

---

58 ــ (القشيري) الإمام أبي القاسم عبد الكريم ،" رسالة القشيرية "، ج 2 ، ص: 433 (نقلا عن كتاب" دراسات في التصوف والأخلاق " للدكتور سامي عفيفي ، ص:63)

59 ــ للإمام العارف شهاب الدين أبي حفص عمر الشهروردي (539هــ / 632 هــ)

60 ــ لابن عجيبة الحسني.

61 – أنظر: (انجاي) محمد غالاي ،"الوعي المريدي " ، مجلة ثقافية علمية تصدرها (نادي الوعي المريدي) ، العدد الأول ، بروكسيل، بلجيكا، مايو 2008 م ،ص : 47. وهو أستاذ العقيدة والفلسفة في بركسيل.

62 ــ متخصص في الفلسفة العامة، ومدرس الفلسفة والفكر الإسلامي في المملكة المغربية (سابقا) . وله عدة مقالات حول "المريدية " .وله كتابان، الأول " الإدراك العربي لتاريخ إفريقيا الحضاري " والثاني تحت الطبع " قراءة في التراث الإسلامي الفكري في السنغال". وهو أيضا من أوائل من نادوا بفكرة " الخدمة " كمفهوم أساسي لقراءة الفكر المريدي ، أنظر : بحثه تحت عنوان " هل يمكن الحديث عن مكانة لــ " القصائد " في المكتبة العربية ــ الإسلامية ؟ " (دكار ، في 1993/06/17م) . وتبعه في ذلك مصطفى جوب (الككي).

والسياسية والاجتماعية ممثلة في شخص الشيخ الخديم المصلح المجدّد .بمعنى أننا أمام قراءة سنغالية للتصوف العربي الإسلامي تمت في زمان ومكان معينين : أما الزمان فهو الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عصر نشوء الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ككلّ . وأما المكان فهو امبك كجور (Mbacke Cayor) " [63].

ومحمد غالاي انجاي قد تكلّف هو بمعالجة المرحلة الأخيرة من القراءة ، حيث ضبط خيوط النص المذكور وربطه بمصطلح " المريد" الذي نحن بصدد تناوله ، أنه كان بفضل الورد الذي يتلقّنه "المريد" من شيخه وثمرات استخدامه له يشكلان عامل تفوق اجتماعي وفخر روحي بين "**المريدين**" رغم تباين انتماءاتهم الطرقية . فالتجاني يفتخر بتجانيته إيمانا وإيقانا منه بأن أوراد طريقته أفضل بكثير من أوراد الطرق الأخرى ، وأن شيخه حاز مقاما دونه كل مقام ! وقل مثل ذلك عن المريد القادري كذلك الشاذلي ، وهلمّ جرّا ! . وهذا في ظل منعطف تاريخي عرفته السنغال كادت تؤدي إلى تفكك الوحدة الوطنية في مرحلة كان الوطن في أمس الحاجة إلى وحدته وتشابك فصائله بمختلف توجهاتها وانتماءاتها الصوفية والسياسية ، وذلك لتواجد الوطن الذي يحتضنهم جميعا تحت نير الاستعمار.

وهذه الظاهرة لم تكن إشكالية أحمد بمب ψ فقط ، بل كانت أيضا موضع اهتمام أكابر أولياء هذا البلد، فقد انتبه لذلك ، على سبيل المثال ، الشيخ الحاج مالك سه ψ (1855 – 1922 م) ، فكتب مؤكدا أن الطرق الصوفية كلها لها الصلاحية والقدرة على إيصال " المريد " إلى مولاه فقال : " على الشيخ أن ينبّه " المريد" أن تعظيم كل المشايخ المحققين واجب واحترام المسلمين فرض ، وأن من حقر طريقة غيره فقد حقر الإسلام. ربما جرّه ذلك إلى الكفر وهو لا يشعر، فإنه يستحل الغيبة والحقد والتفريق بين المؤمنين ، فنعوذ بالله من الغرور "[64]
ولتفادي تداعيات هذه المحنة التي أضرت بالعالم الإسلامي كثيرا جاءت هذه الأبيات لكبت هذه الفتنة التي أوشكت أن ترمي البلد في دوّامة صراعات لا تنصرم [65].

وأيدولوجية الشيخ أحمد بمب تتمثل في رفع راية التجديد[66] أمام أطياف الصراع المذهبي، وكان همّه لـــمّ شمل شتّات المجتمع الجريح للوقوف صفّا واحدا وسدّا منيعا تجاه التغريب

---

[63] ـــ قواعد منهجية ، وريقات قدمته صالح سلام إلى دائرة (خدمة الخديم ψ) بالقاهرة، 1997م .

[64] – (سه) الحاج مالك، " كفاية الراغبين "، ص: 33 .

[65] – أنظر: (انجاي) محمد غالاي ، المرجع نفسه، صص: 48 – 51

والمستعمرين وذلك بتحقيق مضامين الرسالة الإلهية في طينة الواقع ولسان حاله يقول: [... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين][67].

هذا ، ولا يعزب عن بال ذي معرفة أن المجتمع السنغالي عند نشأة "المريدية" كانت تواجه بعض التحديات التي تقف في وجه الإسلام ، وفي وجه المنهج الجديد الذي كان الشيخ الخديم ψ يدعو إليه وأراد تطبيقه في هذا المجتمع على وجه الخصوص .

وقد اختلف الباحثون حول تاريخ ظهور " المريدية " كحركة اصلاحية في مسرح العراك الإيدولوجي في الساحة السنغالية في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد . وقدذهب بعضهم إلى ماذهب إليه الشيخ محمد البشير في كتابه " منن الباقي القديم ..." حيث أرّخ لظهور "المريدية " سنة 1310 هـــ / 1893 م. بينما أنا أميل مع بعض الباحثين إلى ما حقّقه الباحث (الككيّ) وذلك وفق ما أورده كتاب " إرواء النديم ..." ، حيث أرّخ لظهور " المريدية " سنة 1301 هـــ/ 1884 م . وهو عام إعلان الشيخ أحمد بمب أمام طلبته دعوته التجديدية المتمثلة في فلسفة " الخدمة " .

وكانت هناك تحديات تواجه مهمة الشيخ الإصلاحية و تتمثل في الانحراف الشديد عن جادة الطرق ، وانتشار الجهل وشيوع البدع بين العامة حيث كانت المعرفة في ذلك الوقت ، كما وصفه صاحب " منن الباقي القديم ..." : " **في حوصلة عنقاء مغرب والتصوف فيه إلى اندراس الرسوم أقرب**"[68]

وأخطر هذه التحديات وأكثرها تأثيرا على المجتمع السنغالي ، هي توغل الاستعمار الفرنسي وغزوه الثقافي الأمر الذي أدت إلى حتمية الصراع بين الطرفين دينيا وحضاريا وثقافيا. وفي ظل هذه الظروف المتردية التي كانت كل صغيرة وكبيرة تستنجد بالتجديد ، صدع الشيخ الخديم ψ بدعوته الإصلاحية المشهورة بـــ "المريدية"[69] ، حيث رسم منهجا تربويا تجديديا غايته تكوين شخصية مسلمة قادرة على الصمود أمام التحديات الراهنة.

فكلمة " المريدية "باعتبارها مصطلحا فقد وردت في مؤلفات الشيخ الخديمψ إلا أنها منحصرة في المنظور البغدادي ، و"المريدية" كطريقة أو جماعة أو طائفة مستقلة لم يشر إليها الشيخ

---

66 –راجع : ص:65 ، في تعريف التوحيد العرفاني .

67– سورة الأنفال، الآية: 46.

68 ـــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع السابق، ص : 434.

69 ـــ راجع : الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين ، " إرواء النديم ... " ، فصل في أحواله بعد وفاة والده ـــ رضي الله تعالى عنهما ـــ صص : 62-66 .

لا من قريب ولا من بعيد في كتاباته ، والسبب الرئيسي لذلك ربما هو أن الشيخ كان يرى مهمته تجديدية فقط .

فمن الطبيعي أن تكون أول إشكالية منهجية تلتقي به كثيرون من المنتسبين إليها، وغيرهم ممن يبحثون عن حقيقتها في حيرة من أمرها هل هي : طريقة ، أم أنها حركة ؟

وقد تبدو الإجابة على هذا السؤال لأول وهلة قريبة وسهلة المنال، غير أن أغلب الباحثين عن حقيقتها يجدون صعوبة في التوصل إلى جواب مقنع.

أنظر مثلا صاحب "منن الباقي القديم..." يطالعنا بجواب حول هذا السؤال تكلّف عنا العناء والمشقة حيث يقول: "**تميّز أي ـ الشيخ الخديم ψ ـ عن مشائخ القطر بتميّز أتباعه من سلوكهم على يده طريق الإرادة وتلقنهم عنه، ومن ذلك اختصوا باسم المريدين دون غيرهم من أتباع المشائخ، من قادرين وتيجانيين وغيرهم، لأنهم أول جماعة جمعهم شيخ واحد يربيهم تربية السالكين المتجردين لله من كل هم وشغل دنيوي إلا الضروريات. ففهموا معنى الإرادة ووضعوا عليها الأقدام وساروا إلى الله بكمال الإتباع عملا وحالا وخلقا، لا أني ـ الشيخ محمد البشير ـ** قلت **إن الإرادة لم تصدق على أحد غيرهم في القطر. ولكن الجمع عليها والقيام بها بقوة ربانية ونور صمدانيّ يجذب المختارين لها من كل دان وقاس على قدم التجريد والانقطاع، لم يحصل قبل شيخنا ـ الشيخ الخديم ψ ـ في هذه الأقطار ولو كان لما خصهم العرف بكلمة "المريد"** ... **كما خصه العرف عند المتقدمين للمتجردين لله ، فكذلك العرف في (السنغال) يخص به بين أهل التجريد لله ولرسوله، أتباع شيخنا لأوليتهم فيها وظهورهم بها "**[70].

وفي دراسة حول "المريدية " لعافية أحمد انيانغ ، أظهر من خلالها وجهات نظر مختلفة بين الباحثين والمؤرخين ، حيث بيّن رأيه فيها فيقول إن الاختلاف حول هذه الكلمة تتمثل في أقوال ثلاثة : فمن قائل : إنها امتداد للطريقة القادرية . وهذا زعم باطل عند من له أدنى معرفة وإلمام بحقيقة الأمر . والدليل على ذلك ماكتبه الشيخ أحمد بمب وهذا نصه :

" **بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما هذا هو الورد**[71] **الذي أخذه عبد الله تبارك وتعالى وخديم رسوله – صلى الله عليه بآله وصحبه وسلّم وبارك – أحمد بن محمد بن حبيب الله عصمه الله تعالى وأسعده وأعلاه – من ربه تبارك وتعالى بواسطة رسوله – عليه بآله وصحبه الصلاة والسلام – واستعمله وأمر المتعلقين والمتعلّقات بأذياله لوجه تعالى الكريم باستعماله مدّة مكثهم ومكثهنّ في الدنيا بلا تفريط عنه أبدا ...**"[72]

ومن قائل : إنها طريقة صوفية مستقلة بذاتها . وهو أقرب إلى الحقيقة من سابقه. ومن قائل : إنها حركة

---

[70] ـــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع السابق، صص : 67-68.

[71] – أي الورد الذي بأيدي المريدين حاليا، وقد سمي كذلك لكونه مأخوذا من الله تعالى بواسطة رسوله ρ وذلك عام "شهدنا بكرم" 1322هـــ/1903م في صرصار، وهي حي من أحياء موريتانيا يقطنها بنو الديمان، راجع:"إرواء النديم..."صص:163-200،(فصل في الغيبة إلى أرض البياضين).

[72] – وهذه القطعة مطبوعة في كتاب " زاد المريدين من قصائد خديم خير المرسلين"، المرجع نفسه، ص: 280.

إسلامية تجديدية ذات طابع صوفي أوسع دائرة من الطرق الصوفية المتعارف عليها في المنطقة كالقادرية والتجانية والشاذلية ...، وأتفق معه في أن هذا الرأي الأخير هو الصواب ، بدليل أنه ينضوي تحت لوائها المريدون من جميع الطرق الصوفية بأورادهم المختلفة دونما تخل عنها إنما يجددها تجديدا لهم إلى جانب ورده الخاص المعروف بالورد الخاتم المأخوذ من الله بواسطة الرسول الخاتم ρ.

ويمضي عافية أحمد إلى أن هذا الرأي يؤكده أيضا ما قاله الشيخ عبد الأحد البكي[73] في إحدى خطبه من أن الشيخ الخديم ψ لم يدع إلى طريقة، و لم ينشئ طريقة صوفية ، إنما وجد السنة المحمدية الغراء وكأنها عفت ونسيت فأحياها ودعا الناس إليها لا غير .[74]

و" الككيّ " أيضا قد أدلى بدلوه في هذا المقام حيث بيّن وجهة نظره بأنه لا يستبعد أن يكون اسم الحركة من قبل ذلك، فأطلق الدارسون اسم " المريدين " أو " طريقة المريدية " على هذه الحركة الفتيّة تمييزا لهم عن غيرهم ، وكان من الطبيعي أن يجعلوا لكلمة " طريقة " شعارا لهؤلاء لكونهم (نهلوا من مناهل التصوف الصافية) دون إطلاق كلمة " جماعة " أو " حركة " عليهم. ويمضي " الككي " أن لإختلاف الواقع في التسمية هو كاختلاف الناس في أصل كلمة التصوف حتى حسم الموقف أحد أساطينه وهو الإمام السبلي ψ بقوله :" لبقية بقيت في نفوسهم لو لا ذلك ما تعلقت التسمية "[75].

كما أتفق أيضا مع "الككي" الذي عرّف "المريدية " بأنها : " حركة صوفية تجديدية جامعة "[76] .

والحركة: تختلف عن الطريقة، لأن الحركة تعتمد على روحانية التصوف التي هي الإخلاص دون القوالب الجامدة مما توارث عليها القوم. والحركة هذه أيضا تجديدية لأن استراتيجيتها تعتمد على ردّ الفروع إلى الأصول ،وهي أيضا جامعة لأنها تجمع ما تفرق بين الخيار الحنفاء لأن كل طريقة اختارت لمحة واحدة من تجليات التجربة النبوية حسب الظروف. وجاءت " المريدية " كتوليفة (synthèse) جامعة لأطروحات السادة الصوفية من لدن الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ مرورا بالأئمة الكرام من السادة الصوفية انتهاءا بورده المأخوذ.

---

[73] ـــ الخليفة الثالث للمريدية وابن المؤرخ له ، تولى الخلافة من سنة 1968 ـــ 1989م .

[74] ـــ أنظر : دراسة حول " المريدية والإسلام في السنغال : معالم وآفاق " بقلم عافية أحمد انيانغ ، " رسالة الأزهر " مجلة ثقافية إسلامية تصدرها اللجنة الثقافية التابعة للإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالسنغال ، صص: 9- 10 .

[75] ـــ الككي، (جوب) مصطفى ، محاضرة تحت عنوان " العروج إلى الحضرة الصمدانية على طراز السادة المريدية " ، ص : 6 ـــ مخطوط ـــ في عهدته.

[76] ـــ وذلك أثناء البحث الميداني ، في لقاء مع (الككي) ، طوبى ، السنغال ، يوم الاثنين 2008/12/08م .

وخلاصة القول إن "المريد" بما أنه يمكن أن يأخذ أي ورد شاءه، أو أن يكتفي على مجرد الشريعة مع إخلاص الباطن . فهذا، الشيخ أحمد بمب كان يعطي لمريديه أوراد الأشراف الثلاثة الشاذلي الجيلاني التجاني، أو يعطي من أراد ورده الخاص، فكل حسب قابليته.مثلا قد أعطى الأوراد الثلاثة ووردة الخاص أخيه ومريده الشيخ إبراهيم فاط البكي وغيره كثير .

ومن هذا المنطلق كان توظيف الشيخ الخديم ψ لكلمة " المريد" مجردة واستثماره إيديولوجيا موفقا بدلا من (البكي أو البمبي) على غرار غيرها، لكي لا يشعر المتعلقون به بأي فارق انتمائي " **يميزهم**" عن غيرهم ، وكذلك في نفس الوقت يجد التجاني، القادري والشاذلي إلخ مكانهم فيها.

فاختيار مصطلح " المريد " إذن كان بحق " استراتيجية صوفية " حاول من خلالها معالجة واقع كادت بسببه أن تنفك الأمة السنغالية، فدعا إلى كلمة **سواء بينهم** تمثل القاسم المشترك بين هذه الطرق بمختلف انتماءاتها،ذلك أن الشيخ الخديم ψ وجد التصوف قد أخذ طابعا تحزبيـــا ـــ بمسمياته المتعددة والمتباينة ـــ فارتدّ به إلى مرحلة ما قبل نشوء الطوائف.[77]

وهكذا عبّر عن المضمون الغائي لدعوته الجديدة " الجامعة"[78] فيقول :

دين سوى إسلامه لا يحمد   عند الإله وبـــه نجدّد[79]

وبالنظر إلى هذه التعريفات ، يمكننا أن نلاحظ أنها تصب كلها في قالب واحد حيث اتفق أغلبهم في تعريف "المريدية" على أنها حركة تجديد ، كما اتفقوا أيضا على أن اسم " طريقة" ليس من وضع الشيخ المؤسس ، ولا من الشيوخ الذين تخرجوا على يديه ، بل إنما هو من وضع المدرسيين خارج حلبة هذه الحركة تمييزا لهم عن غيرهم كما هو ظاهر فيما سبق .

وخلاصة القول: إن "المريدية " تجسيد كامل للإسلام الحقيقي في أسمى وأشمل معانيه . كما أن الأسس الراسخة التي ترسو عليها هي : الإيمان، والإسلام، والإحسان ، فـــ " المريد " الحق هو المتحقّق وصفا بمعاني هذه الثلاثة على أكمل وأحسن وجه .

– أسس "المريدية"

---

[77] ـــ وهذه المرحلة تمتد من القرن الثاني الهجري / القرن التاسع الميلادي ـــ (عصر معروف الكرخي ت 200هـــ ، أبي سليمان الداراني ت 215هـــ ، رابعة العدوية ت 235هـــ ، سري السقطي 253هـــ ، الجنيد الملقب ب " رئيس الطائفة الصوفية وإمامهم " ت 298هـــ / 910م) ـــ إلى تاريخ وفاة سلطان العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة 561هـــ / 1166م .

[78] – ووصفنا لهذه الدعوة ب " الجامعة " كما أكد محمد غالاي انجاي ، لم يكن عن فراغ أو من قبيل الصدفة ، بل إلى نص ثابت استناده من الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ نفسه حيث كتب مؤكدا أنه ، بخدمته للرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ جعل الله له الإذن في إعطاء جميع الأوراد المتداولة آنذاك ، بالإضافة إلى العلوم النافعة التي كان أبناء عصره في أمسّ الحاجة إليها (أنظر : محمد غالاي انجاي المرجع نفسه ، صص : 51- 54).

[79] -(البكي) الشيخ أحمد بمب ، " ديوان الفلك المشحون المصنوع من السر والذكر المصون "، ط 1، مطبعة الشيخ عبد الأحد البكي ، طوبى ، السنغال ، 1397 هـــ ، ص: 45 .

وأسس هذه الحركة الإصلاحية التجديدية يمكن استبانتها في معرض ردّ الشيخ الخديم ψ على أسئلة الحاكم العام الفرنسي في (انْدار)[80] التي وجهها إليه ليقف على حقيقة دعوته ومضامين حركته التي اتسعت رقعتها وشاع ذكرها وكثر حولها القيل والقال . فأجابه الشيخ الخديم ψ فيما أجابه أن: " أسّ الطريقة: الإيمان بالتوحيد ، والإسلام بالفقه ، والإحسان بالتصوف... "[81] .

كان الحاكم العام قد سأل الشيخ الخديم ψ عن مجموعة من الأسئلة منها: عن مؤسس طريقة الإرادة ؟ وما مولده ؟ وما مكان ولادته؟ ومَنْ أتباعه ؟ وما مقصدُه ؟ و في أي بلاد كان يجول ؟ وما محل وفاته ؟ ومَنْ الذين هم الباقون على الطريقة القديمة الآن حقا ؟ ومَنْ أول من أحيا هذه الطريقة في الإفريقية الغربية؟... وما أصل هذا الشيخ الحاضر ــ أحمد بمب ــ ؟ متى دخل هذه الطريقة ؟ مَنْ ــ الذين ــ أخذ منهم هذه الطريقة ؟ ما أخباره في نفسه ؟ .

الجواب:" **فيمن تأسست منه طريقة المريدين، أسّ الطريقة الإيمان بالتوحيد والإسلام بالفقه والإحسان بالتصوف. وأما المولد، فكل من تولّد في بلد ما من بلاد الإسلام فذاك مولده. وأما مكانه ، فكذلك . وأما أتباعه أولا ، فالمتعلّمون بالقراءة . وأما مقصدُه، فوجه الله تعالى الكريم. وأما البلاد التي يجول فيها المريد، فبلاد المسلمين. وأما محل وفاته، فكل من ماتت من أرباب الطرائق فالمحل الذي مات فيه فهو محل وفاته. وأما الباقون على الطريقة القديمة ، فهم المومنون المسلمون المحسنون حيث كانوا . وأما أول من أحيا الطريقة في الإفريقية الغربية ، فالشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ أحمد التجاني ــ عليهم رضوان الله تعالى ــ . وأما دخول هذه الطريقة في بلاد ، فمن المشائخ الواصلين إلى الله تبارك وتعالى الموصلين إليه سبحانه حيث كانوا . وأما أي محل هم غالبون فيه، فلم يبق في البلاد من يعني بهذه الطريقة المستقيمة . وأما أول قوم هم أول من تلقوها من المشائخ ، فالذين يريدون وجه الله تعالى من زمن رسول الله ρ إلى زمننا هذا . وأما تاريخها ، فمن الهجرة النبوية إلى هَمْسَشٍ[82]. وأما الرؤساء من هم الآن ، فلم يبق أحد الرؤساء المحققين . وأما أصل هذا المجيب ، فأصوله مومنون مسلمون محسنون . وأما وقتُ دخوله هذه الطريقة، فإنه أخذها من الناس الذين كان يظن أنهم محققون[83] ثم بدا له أن الأمر لم يكن كذلك فغيّبه الله تبارك وتعالى إلى البحر تلقاها أي الأوراد الثلاثة من رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ بلا واسطة بسبب "خدمته" له وجعل الله تبارك وتعالى القرآن والإسلام وديعتين له والله على مانقول وكيل ، والسلام ".**[84]

وهذه الأجوبة في نظر " الككيّ " تغني عن الشرح ، ولكن رغم ذلك فقد استسقى منها بعض النقاط المهمة وهي كالتالية :

---

[80] ــ (NDAR) مدينة سانت لويس حاليا .

[81] – أنظر : (انيانغ) عافية أحمد ، " المريدية والإسلام في السنغال ..." ، ص: 10 .

[82] – تعادل عام : 1345 هــ/ 1926م

[83] – راجع الإحالةرقم:25 ،ص: 18 من البحث.

[84] – أنظر : " المجموعة " ، المرجع نفسه، صص: 28- 30 .

أ) إن الطريقة بالمفهوم الخديمي أو المريدي هو رقائق التصوف وإشاراته ، أو قل أخلاقه لا هيئاته ورسومه الطرقية في هذه الزمان.

ب) إن الله تبارك وتعالى جعل القرآن والإسلام وديعتين للشيخ الأكبر ψ – على وجه الخصوص –، يقول الشيخ في إحدى مناجاته وهو بين الأعداء في الغربة البحرية: "... **اللهم إنك خلقتنا لعبادتك فقلت: [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]**[85] **وقلت : [يأأيها الناس أعبدوا ربكم]** [86] **، فوفّق من سبقت له السعادة للسمع والطاعة وخذّل من سبقت له شقاوته فصدّ الإجابة وصمّ عن النداء نكرا ، فوفّقتني وجعلتني من رمزة الإجابة ، زمرة نبينا محمد ρ إمام الأنبياء والمرسلين ـــ صلى الله عليهم أجمعين ـــ وزدتني فضلا منك أن جعلتني خديمه وخليفته في دينه وأمته ، فقام زمرة من أعدائك أعداء له وتسلّطوا عليّ ليحولوا بيني وبين عبادتك و" خدمته "** ..."[87]

وهذا يعني : التضلع بأعباء نصرة الدين وتجديد معالمه.[88]

– مبادئ "المريدية"

وأما مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية التجديدية ، فيجمع بين القديم الراسخ والجديد النافع، يجدّد في المتغيّرات ويحتفظ بالثوابت ، فيُبقي الغايات ويغيّر في الوسائل ،وتلك المبادئ ما هي إلا توظيف عقل فريد لعناصر تراثية في ثوب جديد ، مثل المعمار العبقري الذي يجدّد تقاليده العريقة وفق أطر عصره ومتطلبات زمانه، و هي الآتية:

العلم، العبادة، العمل المنتج، تزكية النفس، "الخدمة" (*)

تنبيه : ما نريد إلتفات النظر إليه قبل كل شيء هو أنّ هذه المفاهيم المراد دراستها وتحليلها هنا ليست من خصوصيات "المريدية" فحسب، والحال أنها من المبادئ الصوفية العامة إلاّ أنّ الشيخ الخديم أضاف إليها وصبغتها بصبغته الخاصة.

85– سورة الذاريات ، الآية: 56.

86 – سورة البقرة، الآية: 21.

87 – – الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين ، " إرواء النديم ... "، صص: 148 – 149 .

88 ـــ أنظر : الككي، (جوب) مصطفى، " العروج إلى الحضرة الصمدانية ... " ص: 7 .

(*) ـــ أنظر : " العلم والعبادة " في الفصل الثاني من هذا الباب (لب نظرية " الخدمة ") كما سنتعرض " للخدمة " في الفصل الثاني من هذا الباب أيضا (" الخدمة " وحبكتها الدلالية).

العمل المنتج:

ومحافظة على خطة سير هذا البحث ، سوف نتعرض لباقي النقاط : العلم ، العبادة، " الخدمة " في مظانها. فنقول إن أبرز ما يميّز الحركة الإصلاحية التجديدية هو دعوتها مريديها إلى العمل المنتج. وموقفها منه يكمن وراءها فلسفة عميقة تجاوزت الكسب المادي ــ وهي ما سوف تعرف بمشروع فلسفة " الخدمة " التي نحن بصدد دراستها في هذه الأطروحة ــ إذ اعتبرت " المريدية " العمل وسيلة كفيلة لمحاربة الكسل، حيث بيّن الشيخ محمد البشير Ψ وهو يصف لنا الأوساط الاجتماعية آنذاك على أن الكسل أصل الفساد دينا ودنيا ، ونبّه أيضا على بعض الأمراض القلبية المعاقة للمريد السالك كالعجب، والتعصب ،والترفع عن بعض الأعمال ، وغير ذلك من الأمراض التي رسخت في النفس البشرية ، مما دعى إلى استئصال جذورها لكي يكون المجتمع مجتمعا متقدّما، منتجا ومزدهرا يسود فيه المساواة بين أفراده ، إلا بِــمُيّز من الجامع لأنوار الأوصاف المحمودة، والمانع من جميع الأوصاف المذمومة ألا وهو التقوى فيقول : " **وهو ــ أي الشيخ الخديم Ψ ــ أعلم بقومه وزمنه ، ولم تخف عنه قلّة تعمّق الدين في العوام لعموم الجهل إلا قليلا، وتضاعف الأخلاق الذميمة فيهم إلا نادرا . يجعل أول ما يأخذهم به بعد تقرير واجبات الدين ومندوباته لهم ، مباشرة الأعمال البدنية ليتحلل الكسل المعروف في أكثر سكان إقليمه ، وهو أصل الفساد دينا ودنيا ، ولتذوب النخوة والتّــيهُ والعجب التي رسخت فيهم ، لملازمتها الطبيعة الكثيفة في النفس البشرية**"[89].

كما أن العمل أيضا وسيلة لكسب الحلال الذي يعتبر واجبا دينيا ، حيث أمر الله سبحانه وتعالى المرسلين بأكل الحلال الطيب الذي لا يتم القيام بالعمل الصالح إلا به ، قال تعالى: [**ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم** [90]].

وفي هذا يقول الشيخ الخديم Ψ :

وطلب الحلال فرض ينتمي	**لكل مسلم بغير وهــــم**
لا ينتفع العلم والعبــادة	**بالأكل للحرام عند الســادة**
واحتذروا من الذي أيقنتم	**بكونه الحرام أو ظننتـــــم**
ولتكتفوا بما يقيم الصــلبا	**من الطعام لتطيعـــوا الربا**[91]

---

[89] ــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع السابق، ص : 54.

[90] ــ سورة المؤمنون، الآية: 51.

ولأهميته الخاصة في الحركة الإصلاحية التجديدية "المريدية" ، فقد جعله الشيخ الخديم ψ أيضا وسيلة لا يمكن الإستغناء عنه لضمان الإستقلالية التامة والإعتماد على الذات والإستغناء عن الآخرين إلا للضرورة القصوى.

ومما يعضّد صحة ما ذهبنا إليه ـــ ما روي عن ثقاة ـــ قوله ψ لأتباعه حين أمرهم بجمع تبرعات لتنفيذ مشروع المسجد الجامع في (طوبى)، قال لهم بعدما جمعوها وأتوا بها : " **إني لا أقصد من هذا جمع المال وصرفه ، وإنما أريد إعطاءكم درسا عمليا مفيدا في الإعتماد على الذات وبذل أقصى جهد ممكن في قضاء حوائجكم بأنفسكم دون الإعتماد على غيركم ، لأن كل من يضمن لك عيشك يسلبك حريتك إذا شاء** "[92] .

تزكية النفس :

وأما تزكية النفس فتحتل مكانة رفيعة عند الحركة الإصلاحية التجديدية "المريدية" حيث وردت لها معان كثيرة في مؤلفات الشيخ الخديم ψ تصب كلها على مصب واحد ألا وهو التخلي عن العادات السيئة والأوصاف المذمومة، والتحلي بالآداب الحسنة والأخلاق المحمودة أي (التخلية قبل التحلية).

ففي كتابه " نهج قضاء الحاج في حصد زرع شيخنا الدلحاجي"[93] نظم يتضمن أمهات الأدب وأصولها، حيث حثّ جميع المتعلقين به من المريدين على التحلي بما فيه من الأخلاق والآداب فيقول :

عليكم يا معشر الطــلاب ثم عليكم بذا الجـــــواب

فيه من الأخلاق والآداب ما سيقودكم إلى الصواب

فيه من الإرشاد والإفــادة ما لا يمــل منه ذو إراده

ويستوي مبتدئ ومنــــته في نفعه وخيره لا ينتهــي

إذ قد حوى كيفية الوصول لأحسن الآداب والمأمول[94]

والمتصفح في مؤلفات الشيخ الخديم ψ أيضا يجد أن الأدب على قسمين :

أ) الظاهر مع الخلق: فتتمثل في قواعد المعاملات الأخلاقية بين الإنسان مع ذاته، أو مع غيره من بني جنسه.

---

[91] ـــ (البكي) الشيخ أحمد بمب " مغالق النيران ومفاتح الجنان " ، ترجمة : سرين سام امباي ديوان في العلوم الدينية للشيخ أحمد بمب البكي خادم الرسول ρ، ج 2 ، ـــ مخطوط ـــ بمكتبة الشيخ الخديم ـــ رضي الله عنه ـــ طوبى ، السنغال ،1407هـــ / 1998م ص : 258، رقم : 126ـــ 129 .

[92] ـــ وذلك في لقاء خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ (طوبى، السنغال، يوم السبت 2009/02/28 م) .

[93] ـــ ألف الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ هذا الكتاب تلبية لرغبة بعض المريدين الذين طلبوا منه أن يؤلف لهم نظما يتضمن قواعد الأدب وأصولها .

[94] ـــ (البكي) الشيخ أحمد بمب " نهج قضاء الحاج ... " ، ديوان في العلوم الدينية ... ، ص : 294 ، رقم : 31-35.

ب) الباطن مع الخالق عز وجل: فتتمثل أيضا في المعاملات بين العبد وربه.وعلى هذا يقول الشيخ الخديم ψ :

هو قسمان لدى الديمـــــاني   أدبُ ظاهر مع الإنســـان

وأدبُ باطن معْ رب الورى   ويَتْبع الباطن ما قد ظهرا[95]

وهكذا أرى نفسي اتفق مع (الككيّ)في : " أن هذه الحركة ما هي إلا رؤية تجديدية ظهرت في بداية القرن الرابع عشر الهجري ـــ كما أسلفنا ـــ وترمي إلى ربط الشريعة بالحقيقة على بساط السنة المطهرة، وكانت أيضا من توجهاتها مقاومة الإستعمار بمقاطعة ثقافية ، والدعوة إلى الممانعة الثقافية والإقتصادية ... وعدم موالاة القوى الاستعمارية "[96].

95 ــ (البكي) الشيخ أحمد بمب " مسالك الجنان في جمع مفارقه الديماني "، مطابع دار الكتب بدار البيضاء ، 1984 م ، مكتبة الشيخ الخديم ψ ، طوبى ، السنغال ، ص : 165 ، رقم: 1093 – 1094 .

96 ــ الككيّ ،(جوب) مصطفى ، " العروج إلى الحضرة الصمدانية ... "، ص :7 .

المبحث الثالث

الشيخ الخديم ψ وشهادات وجهاء عصره له

فمحتوى هذا المبحث يعطي فكرة عن شهادات بعض الأجلاء له من السنغاليين ومن الموريتانيين الذين شهدوا له، فمنهم من عاصروه، ومنهم من بايعوه، ومنهم من جمعتهم أخوة العقيدة والدّين. وتعطي أيضا صورة واضحة عن المستوى الرفيع والتفوق العلمي والأدبي اللّذين كان يتمتع بهما هؤلاء الشعراء من السنغاليين والموريتانيين، وأخص منهم بالذكر الشعراء الموريتانيين، وذلك إذا أخذنا في عين الإعتبار الطبيعة الإنتقائية لسكانها ، وعن مدى شخصية الممدوح وعلو منزلته ورفعة شأنه في كلّ هذا الإنتاج الثري الضخم.

- من السادة السنغاليين:

1- **الحاج حامد بن عثمان الفوتيّ التّلري τ**[97]: وهو من علماء القادرية في السنغال، قال و هو يمدح الشيخ الخديم – رضي الله عنهما – في قصائد منها هذه الأبيات:

هو الإمام الخديم الغـــــوث شمته	**نصر المضام وكبـــت الظالم العــات**
يمسي ويصبح في توضيح مشكـــلـــة	**وبث علم وإعطـــاء النفيســـــات**
هو التقيّ الوفيّ المـــرتضى خلقـــا	**سراج هذا الورى بدر الدجنـــات**
له سجية أجداد جـــهــــــــابذة	**وأمّهات وآبـــاء كريـــــمـــــات**
على دءوب يواســــي المعتفين إذا	**كحّ[98] الأماجد عن حسن المواسات**
حاز المكارم والمجد التليد ومـــــا	**يرضي الإله من إعمـــال العــبادات**
إذا ادلهمت عويصات الفنون عـــلى	**ناس فإنك مـــفتـــاح العويصـــــات**
مازال مذعقدت منه الإزار يـــــد	**يرقى ويسموا إلى أعــلى الكرامات**
له المزايا وإعطـــاء النفائس مـــــا	**يعيي البليغ وأربـــاب العبـــــارات**
ترى العفاة لدى أبـــوابه زمـــــرا	**كأنه هو بدر وسط هــــــالات**

[97] – سبق التعريف به، راجع: الإحالة رقم: 12 ، ص:14 .

[98] – الكُحُّ: القُحُّ، يقال :[هو عربيّ كُحًّ]

ما بين راج وذي فتوى وملتـــمس	**كشف الغطاء بأعــــمال ونيّات**
لله لله ذاك الشيخ من رجـــــــل	**سهل الخليقة محمـــــود السجيّات**
وانظر إلى الجار والضيف الملـــمّ به	**والمعتفي المرتجي حســن العطيّات**
ترى الوفود على باب الخديم كما	**ترى هنالك أشتــــات الــمزيّات**
هذا وليس يفي معشار مدحكــــم	**نجب القريض وأرباب البلاغــات**
فحقّ لي الصمت أبلــغ مـــــن	**صوغ القوافي وتحســين العبارات**
ياغوث من لمروع خائف وجــــل	**كأنما هــو في حــدّ الحسامــــات**
فبارك الله فيما الله موثركـــــم	**وزادكــــم شرفا بيـــن البـــرّيّات**
ثمّ الصلاة على المختار مــن كملت	**أوصافه وارتقى فوق المــقامات**[99]

وفي هذا المطلع الذي يعتبر بيت القصيد هنا ، نرى أن الشيخ الحاج حامد يعبّر بتعبير صريح ويشهد بأن الشيخ أحمد بمب هو الإمام وخديم رسول الله ρ والغوث ، وهو أيضا صاحب المزايا والكرامات .كما نراه يصوّر لنا تلك الحالة الرهيبة التي كانت العفاة والوفود تتزاحم لدى أبوابه ما بين راج وذي فتوى وغيرهما من أصحاب الحوائج الدنيوية والأخروية التي كان الشيخ أحمد بمب لا يفتر عن قضائها .فأكد في النهاية أن الصمت أحق له من صوغ القوافي وتحسين العبارات الذي ليس يفي معشار مدح لدى هذا الخديم .

2- الشيخ محمد الأمين جوب الداغانيّ τ[100]:

صاحب أشهر كتاب[101] في حياة الشيخ الخديم ψ،وتعتبر من المصادر الرئيسية للبحث حول سيرة الشيخ الخديم ψ . فقد عيّنه الشيخ الخديم ψ أمينا لشؤونه الخاصّة ومؤذنا له بعد ملازمة طويلة أدى إلى قربه منه، وبعد إنتقاله إلى جوار ربّه بسنوات إستقرّ بمدينة (جربل Diourbel) إماما في

[99] – (التلريّ) الحاج حامد بن عثمان الفوتيّ، "ديوان الشعراء السنغاليين مع ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري"،ط 1 ، عام 1405هـــ/1985م، – مخطوط– بمكتبة الشيخ الخديم في طوبى،السنغال، صص90-103.

[100] – هو محمد الأمين جوب بن تفسير أحمد جوب بن مالك جوب، من مريد الشيخ ومقربيه. ولد بداغان (Dagana) منطقة قرب نهر السنغال، كانت محطة على طريق القوافل التجارية المتنقلة بين المغرب وجنوب الصحراء الكبرى. أنظر عنه في تقديم كتابه القيم "إرواء النديم من عذب حب الخديم"، تحقيق و تعليق: محمد شقرون، ط 2006م، صص:36-40.

[101]– "إرواء النديم من عذب حب الخديم".

مسجدها الذي بناه الشيخ، كما تفرّغ في آخر حياته للكتابة والتعليم حتى سنة 1967م. وقد رثاه بأبيات هي أولّ مرثية للشيخ ونصّها:

مضى الشيخ للمولى الذي كان يعبد ... وقد كان يدري أنّه ليس يـــــأبـــــد

فشمرّ يرعى من رضى الله ما اقتضت ... أوامره مثل المناهي ويـــمهــــــــد

وينهى عن الفحشاء ويأمر بالهـــــدى ... ويأتي ولا يغلو بما هو يــعـــهـــــد

وكان عماد الدين أيام عـــمــــــــره ... إليه بنوه لإبتغاء الحـــق قـــد هـــدوا

يرون له حق الأبـــوة واجـــــــــبا ... وكان يرى حق البـــنوة يحـــمــــد

فمن لليتامى كان أنسى جمـــيعــــــهم ... أصولهم والشرّ بالخـــير يخـــمـــــد

وكان لأهل الفقر خصبا مهنّـــــئا ... يوافون من شتى إليـــه ليرفـــــدوا

ولو جاز أن يفدى فدينــــاه غيـــر أن ... مضت قبله السادات طرّا ومافـــدوا

ألا إنه إن غاب عنّا بجسمــــــــــه ... فما غاب عنّا خيره المتجــــــدّد[102]

وفي مطلع هذه المرثية نلاحظ مدى وعي الراثي أن البقاء لله وحده، فهذا الشيخ أحمد بمب عماد الدين وعمدتها الذي أفنى حياته كلها في أداء وظيفة العبادة /" الخدمة" كان يدري أنه يوما إلى المولى ـــ عزّ وجلّ ـــ يصير كما صار قبله السادة الصوفية . إلا أنه إن غاب عن أعيننا بجسمه، فخيره المتجدّد دائما يفيض ولا ينتهي .

3- الشيخ أبو محمد الكنتيّ ψ [103]:

قال أبو محمد الكنتيّ المعروف عند العامة بـــ"بُوكُنْتَ" في "انْدِيَاسَان" قرب" تِيوَاوُن" قال: بعض أصحابنا أتاه يزوره قال المريد: فسألني عن حال الشيخ وهو عالم بغيبته، فقال لي: أين الشيخ فقلت له: ذهب به النّصارى. قال: لا، قلت : فما كان إذا. قال ذهب ليخدم حيث تطيب به الخدمة. قال المريد: وأنا في مجلسي أسمع رطانة قوم لا أعرف ممّا يقولون شيئا. قال لي: أتعرف لغة هؤلاء القوم؟ قلت لا، قال: لإنّها ليس بلغتكم. وذلك لأنّ الشيخ قبل غيبته ضرب سورا على هذا البلد،

[102]– الداغاني ،(جوب) الشيخ محمد الأمين، "إرواء النديم ..."، صص:230 – 231 .

[103] – هو أبو محمد بن بو نعامة الكنتي (1840-1914م) شيخ قادري وصاحب الزاوية في "اندياسان" Ndiassane قرب "تيواون"Tivawone ،أنظر: الخليل النحوي "بلاد سنقيط..."، ص:267.

فلا أحد ينال فيها تلميذا حتّى يأتي. وأنا اتّخذت أصحابا وراء سوره فلا يأتي أصحابي إلاّ بعد شهر أو شهرين[104].

4- الشيخ الحاج مالك سه ψ [105]:

ومن أجلّاء من شهدوا للشيخ أحمد بمب بالإحسان والإستقامة محبّ الشيخ وقريبه قرابة دين وطين ووطن الحاج مالك سه – رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهم- آمين.

سمعت ـــ أي الداغاني ـــ وسمعه غيري، كاد أن يكون متواترا إنّه قال: مامنّا إلاّ من تاب عن إساءة، واستقام عن اعواج، إلاّ ما كان من الشيخ أحمد فإنّه نشأ محسنا مستقيما.

يعني ما منّا معشر المشار إليهم أحد إلاّ عرف في نفسه هفوة تاب منها واستقام بعد اعوجاجه، إلاّ هو فحاله في صغره وكبره سواء، صدق الله ونصح[106].

– من السادة الموريتانيين:

1- الشيخ سيدي باب τ[107]: قال فيه وكتب ونثر ونظم، وكان الشيخ عنده كالكبريت الأحمر. قال وهو يمدحه - رضي الله عنهما – قصائد منها هذه الأبيات:

الشيخُ أحمدُ نعمـــــةً أولاهـــا ... هذي الخلائق كلّها مولاهـــا

فالحمد لله الذي نعـــمــــاؤه ... لا يستطيع عباده إحصاهـــا

تلقاه إن رفعت لمجـــد رايـــــة ... بيمينه متهلّـــلا يلقاهــــــــا

وإذا رأى يوما مكارم أُعرضت ... فمصــــمّم متيمّم كُبـــــــراها

ما ضرّ أرضا أُسعدت بجـــواره ... أن لا يكون ربيعها أسقـــاها

تنسى العفاة ببرّكم أوطـــانهـــا ... حتّى ترى مغناكـــم مغناهـــا

104– الداغاني ،(جوب) الشيخ محمد الأمين، "إرواء النديم..."، صص: 250-251.

105 - (El-Hadj Malick Sy) شيخ الطريقة التجانية في السنغال(1855-1922 م).

106– الداغاني ،(جوب) الشيخ محمد الأمين، "إرواء النديم ..."، ص: 265.

107 – عالم جليل، فقيه وأصولي، شاعر ومؤرخ (ت 1342هـــ/1924م)، وهو حفيد الشيخ سيديا الكبير قطب من أقطاب العلم والتصوف والسياسة في مورتانيا (1190-1284هـــ/ 1777-1867م). أنظر عنهما :الخليل النحوي، ص:516. كان على علاقة بالشيخ أحمد الخديم – رضي الله عنهما – الذي نفته السلطة الإستعمارية الفرنسية ليقيم عنده(1903-1907م). وعنه جدّد الشيخ أحمد بمب الورد القادري.

يلقى جموعهم ببشر صـــــادق   فكأنّها تعطيه ما أعــطــاهـــــا

شهد الطّوائف أجمعون بكـــونه   برّا كـــــــريما قانـــتا أوّاهـــــا

ممن يرى نفع الأنام فـــريضـــة   في دهره والــــذاكـــرين الله

يرضى إذا جرت الأمور مسلّما   علما بأنّ إلاَهَـــهُ أجــــــــراها

لا تحجب الأسبابُ عنه حقيقة   إن تَاهَ في ظلماتها مَــــــنْ تاها

لا زال منهلاّ بحضرتك الحيـــا   تتنسّم الخيرات من ريّاهــــــا

تسعى العباد إلى مآرب نحـــوَه   من أمر دنياها ومن أخراهـــا[108].

فالشيخ سيدي يحمد ربّه الذي نعماؤه لا تعد ولا تحصى في مطلع القصيدة ويبين أن الشيخ أحمد بمب نعمة أنعم الله بها على الخلق أجمعين .فنراه في الأبيات التالية يصرّح بأن جميع الطوائف شهدوا له بكونه برّا كريما أوّاها ممن يرى نفع الأمة والخلق فريضة.

2- الشيخ سعد أبيه ψ [109]:

عقيلة بيت الشرف، وسلالة النبوية العزيزة الولي المتّفق على ولايته، وهذه قصيدة تهنئة، قالها بمناسبة قدوم الخديم ψ من الغيبة البحرية:"وبعد أزكى التسليم أحمد ربا نظّم شمل الدين بأيام إقبالكم بعد تشتيته بليالي إدباركم ونشر بنشر قدومكم الأفراح وكشف بانكشاف الغيبة عن وجهكم الأتراح واستخرج ياقوتتكم من غور البحار العظام وحلّى بها جيد المعاهد والإسلام وأصلي على نبيّ فتق رتق الأكوان وتسلسل نوره في الأمة إلى آخر الزمان وبعد فمن محبكم الصافي الوداد وإن تباعدت منّا الأجساد مع أنّه عن الوصل غير قانع المصرّح بإسمه في الطابع إلى السيد الهمام الملقي إلى الله الزمام من نال بالاصطبار مقام الأبرار ثمّ ارتقى إلى التسليم والرضوان فدخل في زمرة المقربين أهل العرفان أسأل الله سبحانه له الحسنى وزيادة وأن يؤمّننا من غوائل الغرور

---

[108] – (باب) الشيخ سيدي، "ديوان الشعراء أهل الزوايا المريتانيين في مزايا الشيخ الخديم سيد المغاربة جميعا"، طبعت بمطبعته الطوبوية، عام 1979م – مخطوط- في مكتبة الشيخ الخديم بطوبى،السنغال، صص: 1-2 .

[109] هو الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- مرورا بإدريس الأصغر فإدريس الأكبر. ولد سنة 1266هـــ/1848م بعين الفتح بولاية الحوض الشرقي في أسرة معروفة بالعلم والصلاح حيث كان أبوه عالما ورعا ووليا ناسكا، وأمه مريم منت أحمد لول ولد عبد ولد يفلج... القريشي الهاشمي (ذكره الخليل النحوي في الأعيان الشناقطة وعدّده من أحد مشايخ الطريقة القادرية البارزين توفى سنة 1917 م ، "بلاد شنقيط ..." ، ص:515. وهو أيضا من رجال الطريقة الفاضلية التي أسسها والده والتي تعتبر شعبة من القادرية. راجع: "إرواء النديم..."، ص: 246).

المعتادة أعني ذا الفتوحات والمواهب من طار صيته في مشارق و المغارب "الشيخ أحمد بمب" الولي الكامل الصادق فيه قول القائل:

حلــف الزمان ليأتينّ بمثــلــه حنــثت يمينــك يا زمــان فكفّر.

موجبه إعلامكم أنّا ولله الحمد مستبشرون مهنئون لهذا الرجوع بعد التسلية والتعزية على سفر منعنا الهجوع ولمّا سمعنا من طلعتكم إقبالا أنشأنا في شأنكم الرّفيع ارتجالا:

معادنه أجلته منهـــا النصـــارى فأصبح في تلك البحور نــضــارا

ومن صَدَفِ البحر المحيط بدا فمن تلألؤه فيه العـيـــون حيـــارا

فعجبا لكيميا امتحان غدا بهـــا نضار الورى ياقــوتــة لا تبــارا

وبدر منير غاب في الغــرب ثمّ لاَ حَ مِ الغرب شمسا رفعــة وانتشارا

ويا عجبا باب المتاب مفتّـــــح لكــلّ مريــد رام منه جــــوارا

هنيئا لذا الدّين الغريب الّذي غدا يتيه سرورا منكم وافتخــارا [110].

فهذه قصيدة تهنئة من الشيخ سعد أبيه إلى الشيخ أحمد بمب ـــ رضي الله عنهما ـــ قالها ارتجالا بمناسبة عودته من الغيبة البحرية، حيث شبّهه ببدر منير وقت غربته إلى غابون (Gabon) في الغرب الإفريقي، ثم لاح وطلع من الغرب بعد العودة من الغربة شمسا رفعة وانتشارا ، وفي هذا ما لا يخفى من علو منزلته وعظيم أمره .

3– الشيخ محمد بن المختار بن المعلّى الحسني τ[111]:

وهو من أجل من شهدوا للشيخ العبد الخديم ـــ رضي الله عنهما ـــ قال فيه وهو يمدحه قصائد منها هذه الأبيات : "**.... أما بعد فإنّ مَن وزن الأمور بقسطاس عقله وقاسها بمقياس ضبطه ونقله ونقد الأشياء بعين المعقول وأمعن النظر في مباني الأصول بمنظار فكره المصقول عرف المنتج منها والعقيم وميّز الصحيح من السّقيم وخلّص الزائف من السليم وأحاط بها إحاطة خبير عليم ثمّ إنّي سبرت أحوال الرجال وألهبت ألهوبي معهم في كلّ مجال واستشففت**

---

110 – (أبيه)، الشيخ سعد،"ديوان الشعراء أهل الزوايا المريتانيين..."، صص:11-12.

111 ـــ وهو فحل الشعراء محمد بن المختار بن المعلّى الحسني، (أنظر عنه : المرجع نفسه، ص : 16).

جواهرهم واستقرأت بواطنهم وظواهرهم فما سقطت على من يشقّ غبار العبد الخديم أو يجاريه في مضمار لا حديث و لا قديم جواد برّح بالفحول اليعابيب وغيث مزن غامر أخجل الأهاضيب والشآبيب قورع فظفر بالمعلّى والرّقيب وتلّقى الفوزعند الفيض في اثني عشر نقيبا فكان أورى العارفين بالله زندا وأيمنهم طلعة وأبسطهم يدا وأندى أتحف الله به عباده المسلمين على حين أفول سمش شريعة الرّسول الأمين..."

إمام هدى ومغفرة وفضـــــــــل	**وتـــفريق إذا اصطـــكّ الخصـــــوم**
ولعت بحبّه ورغبت عمّـــــــــا	**سواه وذالك الودّ الصميـــــــــم**
لِعلمي أنّه الغـــــــــوث المفدّى	**لدى الأزمـــان والعبد الخديـــــم**
جواد زانه بذل الأيـــــــــــادي	**على العلاّت والخلق العظيـــــــم**
ونبذ زخارف الدنيا جـــميعــــــا	**وراء الظـــهر والفضل الــعميـــم**
سقت كاسات شيمته البـــرايـــا	**رضى عن بابه طرد الوجــــــوم**
كؤوس ولاية مزجت بـــعلـــــم	**لها في صدر ذي التقوى هميـــــم[112]**
فمن يك لن يهيم به فـــإنّـــــي	**إلى أنـــــوار حضرتـــه أهيـــم[113]**

وفي هذه القطعة نلاحظ أن ابن المعلى الحسني هنا يكشف عن مدى تفانيه في حبّ الشيخ أحمد بمب ورغبته عمّا سواه وذلك بعد ما استقرأ ظواهر الرجال وبواطنهم و لم يقف على أحد يجاريه في مضمار ، فشهد له بالإمامة والغوثية وأنه هو عبد الله وخديم رسوله ρ .

وفي البيت الأخير من هذه القطعة ما لا يخفى من تأكيد التعلّق به .

4- الشيخ الحاج محمد عبد الله بن علي العلويّ τ[114]:

وهو من أجل من شهدوا له بالقطبانية والولاية قال فيه وهو يمدحه في ديوانه المسمى بـــ "الدّرّ النظيم": "... **وبعد فإنّي منذ تعلقت بقطب هذا الدهر المجمع على قطبانيته أوحد**

---

112 – الهميم: الدبيب . يقال [للشراب هميمٌ في العظام].

113 ـــ (الحسني) الشيخ محمد بن المختار بن المعلّى ، المرجع السابق، صص: 16-92.

114 ـــــ هو إمام الشعراء الحاج محمد عبد الله بن علي العلوي، (أنظر عنه : المرجع السابق ، ص: 93.)

الورى في سخائه وزهده ورهبانيته شمس المعارف و بدرها ونعمة الله الّتي لا يقدر قدرها أحمد بن محمد بن حبيب الله عصمه الله تعالى وأسعده وأعلاه ما زلت أتقرّب إليه وأستجلب سروره بأشعار لا مزيد لها في الحسن ممّا لم تمتد إليه قرائح المصافيع اللّسن... "

قافية الباء، منها:

بشارة فوزي بالمرام إمتـــداحـــــه ... فمدح خديم المصطفى أفضل الكســـب

بأمداحه نلت المنى إذ جعــلتهــــا ... مدى أزمني حسبي من الدفع والــجلب

بدا منه في ذاك الغرب بدر هـــداية ... على نور بدر التّمّ[115] أنواره تربـــــي

بصير بداء القلب لـــم تر رائيـــا ... محّياه يشكو الدهرمن مرض القلـــب

بدايته لم يحو شيخ نـــهايـــــــة ... تشاكلها في الشرق كلا ولا الغـــرب

بديع السجايا قد حوى الفضل كلّه ... ورؤيته عن كلّ ما قد حوى تنـــبـــي

به دفع الله الخطـــــوب فـــلا ترى ... ملّما به يشكو مدى الدهر من خطب

بلوناه في سلم من الذّمّ عرضـــــه ... ولاكنّ ما يحوي من المال في حـــرب

بأونا[116] به إذ ماله في بنـــي الدّنـــا ... إذا اجتمعوا يوم التفاخر من ضرب

به الله أعلى كعب دين نبيّـــــــه ... ولو لاه يعلو لذا الدين من كعـــــب

بعوث صلاة مع سلام أزّفـــهـــــا ... إلى الخاتم المختوم كعب بني كعب[117]

وفي مطلع هذه القافية أظهر الشيخ محمد عبد الله بن علي العلوي " قطيعة "بينه وبين شعراء التكسب الذين يتّجرون بالشعر لأغراض مادية ، فنبه أنه بمدح خديم المصطفى أحمد بمب نال المنى، لأنه أفضل الكسب لذلك جعل مدح الخديم مدى حياته حسبه من الدفع والجلب .

فبيّن في النهاية أن الله تبارك وتعالى أعلى بهذا العبد الخديم دين نبيه الخاتم ρ .

---

115 – تَمّ : تَمًّا وتِمًّا وتُمًّا وتَماما وتِماما وتُماما وتَمامة وتِمامة : كملت أجزاؤه .(... وبالشيء وعليه: جعله تاماً)

116 –بَأَى، بَأْوًا عليهم : فخر، تكبّر .

117 ــــ (العلوي) الشيخ الحاج محمد عبد الله بن علي ، المرجع السابق، صص:93-130.

5- الشيخ إبراهيم البغداديّ τ[118]:

وهو من أجل من شهدوا للشيخ أحمد بمب ، تعلّق به وبايعه، خرج من – مدينة – بغداد، ومثله في العلم نادر. "ويحكي أنّ من أسباب تعلّقه بالشيخ ومبايعته إيّاه أنّه: كان يوما مع الشيخ في سفره قائلين تحت شجرة ... سمعت ـــ أي الداغاني ـــ من الشيخ أنّه كان يشمّ فأخرج آلة شمّه فصبّ في كفّه شيئا وقال لي: ما تقول في هذه؟ قلت: له افعل ما كنت تفعل ولا تسأل. فقال: ولا بدّ لأنّ الاختلاف فيه كثير بين محلّل ومحرّم.

قلت له: إن كان كذلك فهو مشتبه عليك. قال: نعم. قلت: أما رأيت الأخضريَّ قال: بلى رأيت، قلت له: إنّه قال في أوّله "ولا يحلّ لمكلف أن يفعل فعلا حتّى يعلم حكم الله فيه". فهلا توقّفت حتّى تعلم حكم الله فيه؟ فأفحمه كلامي وبلغ به مبلغا ثمّ أطرق ساعة، وقال لي: اشهد بأنّي تركته لله، ثمّ قام من فوره ودفن الآلة بما فيها. ومن يومه أو بعده بايع الشيخ. فلمّا علم مبايعته بعض الأكابر لامه على مكان منه لما علم من جلالته وعلمه الكثير وقال له [لم بايعت هذا السودانيّ وأنت كذا وكذا[119]]، فقال له مجاوبا: إنّي خرجت من بغداد على ما علمت منّي ولا همّ لي إلاّ من يأخذ بيدي.فكم من ولي وعالم لاقيت وما شممت رائحة ما أريد إلاّفيه ومنه فلذلك تعلقت به وبايعته. فصدّقوه وعذّروه"[120].

فهذه شهادات أجلاّء من السادة السنغاليين ومن المورتانيين مجتمعين على تفوقه وكماله، شهد لهم الخلق بالولاية والقطبانية والتقوى والعلم الجامع النافع، فكان من برهم ما تحدثت به الركبان، ولهجت به الألسن على مرّ الزمان.وكفى بهم شهود أنهم مستقيمين مقيمين على سنة المصطفى – صلى عليه الله كما اصطفى، فجزاهم المولى عن الإسلام وعن ذويه أوفى الجزاء – (آمين).

---

[118] ـــ ذكرت المصادر أنّه من شيوخ البيضان الذين أخذ عنهم الشيخ أحمد بمب هو والشيخ أحمد محمد بن محمد الكريم الفاضلي الديماني الشاعر، والشيخ عبد الله التامكلاوي، كلهم "من أهل الصلاح والعلم" (أنظر عنه: الشيخ محمد البشير البكي "منن الباقى القديم...." II، ص: 85).

[119] ـــ أثبت في نسخة وسقط من أخرى، والسقوط أو عدمه من بعض النسخ لا يؤثر على معنى الجملة. (راجع نسخة I-F-A-N ، ص: 207).

[120] ـــ أنظر : الداغاني، (جوب) الشيخ محمد الأمين ، "إرواء النديم ..."، الطبعة الإيطالية ، جانفي 2007م، على نفقة ابن المؤلف بشير محمد الأمين، صص: 200-202. راجع : الموقع الإلكتروني : ibdiopyaci02@yahoo.it

الفصل الثاني

"الخدمة " وحبكتها الدّلالية

المبحث الأول

الجذور اللغوية " للخدمة" وانزياحاهّا الدّلالية

و"الخدمة" في الاصطلاح اللغوي الذي استغلّه العقل العربي في مناح متباينة قد تشير إلى حقول دلالية متعددة، ربما قد نعثر منها على ما يصلح لأن يكون أرضية أو منصّة للتحاور حول جذور المفهوم الذي نحن بصدد معالجته.

خَدَم:خَدَمَه يَخدِمُه ويَخدُمُه، من حدّيْ ضرب ونصر ، الأولى عن اللّحيانيّ ، خِدْمة بالكسر ويفتح ، وهذه عن اللّحيانيّ : أي مَهَنَه؛ وقيل : بالفتح المصدر، وبالكسر: الإسم ؛فهو خادم جمع خُدَّام ككاتب وكتّاب ، وخَدَم، محرّكة ، إسم للجمع كالرَّوَح ونظائره ؛قال الشاعر :

مُخدّمون ثقال في مجالسهم وفي الرجال إذا رافقتَهم خَدَمُ

وهي خادم وخادمة عربيتان فصيحتان ، يقع على الذكر والأنثى لإجرائه مُجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال كحائض وعاتق .وفي حديث فاطمةَ وعليّ ــ رضي الله تعالى عنهما ــ: "اسألي أباك خادما تقيك حرّ ما أنت فيه " وفي حديث عبد الرحمن :" أنه طلّق امرأته فمتّعها بخادم سوداء " أي جارية . ومما يستدرك عليه : الخَدَّام ، كشدَّاد: الكثير الخَدمةِ ويطلق على الخادم أيضا. والمخدوم : الرّئيس، والجمع مخاديم .[121]

وابن سيده يقول : خَدَمَه يَخْدُمه ويَخْدِمه؛ الكسر عن اللّحيانيّ، خَدْمة ، عنه ، وخِدْمة ، مَهَنَه ، وقيل: الفتح المصدر ، والكسر الإسم ، والذكر خادم ، والجمع خُدَّام .

والخَدَمُ :إسم للجمع كالْعَزَبِ والرَّوَح والأنثى خادم وخادمة ، عربيتان ، فصيحتان ، وخدَم نفسَه يَخْدُمُها ويَخْدِمُها كذلك .[122]

---

[121] – (الحنفي) الإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الو اسطي الزبيدي ،" تاج العروس "،دراسة وتحقيق : علي شيري ، المجلد السادس عشر، باب الميم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1414 هــ /1994 م ، صص:195-197.(أنظر: "القاموس المحيط "، للفيروز أبادي، ج4، دار الفكر، بيروت، ص:103 .فالمعاني لا تختلف كثيرا).

[122] – (ابن منظور) العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،" لسان العرب "، المجلد الثاني عشر، ط6 ، دار صادر، بيروت، 1417 هــ/ 1997 م ، ص: 167.

خِدْمَةٌ : (service) في الإجتماعيات : معنى تقنيّ : الخِدْمة : هي عمل يؤديه فرد ويستفيد منه فردآخر فائدة معيّنة .[123]

كما جاء في "المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة" :

خِدْمَة: جمع خِدَم وخِدْمات وخِدَمات، واجبات شخص يعمل لحساب الآخرين، يقوم بحاجتهم.

خِدْمةً للحقيقة: لصالح الحقيقة في سبيلها من أجلها .

خِدْمةُ الربّ: العبادة والتعبُّد (خادم الله : رجل تقيّ متعبِّد لله ، ويخدُمه بأمانة).

خِدْمةُ رعيَّة: تولّي شؤونها الرّوحيّة.

خِدْمةٌ فعليّة: هي أن يصبح شيء ما مستعمَلا، ومُستخدَما.

إستخدَم: إستغلّ، أفاد من (كان يريد أن يستخْدِمَك).[124]

وفي معرض بيان الفرق الجوهري بين حال الشيخ وحال الخادم :نرى أنّ الشيخ الخديم ψ لا يخرج كثيرا عن المعنى التقليديّ لمفهوم "الخدمة" في الإطار الإسلامي، إلاّ أنه عمّق المفهوم، وذهب فيه مذهبا يكتب له، كما يتضح في هذه الدّراسة، أنظر مثلا الشيخ السهروردي في "عوارف المعارف" حيث يقول: "أوحى الله تعالى إلى داود – عليه السلام – وقال: يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما، الخادم يدخل في "الخدمة" راغبا في الثواب وفي ما أعدّ الله تعالى للعباد، ويتصدى لإيصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله لله تعالى بنية صالحة.

فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى، والخادم واقف مع نيته، فالخادم يفعل الشيء لله تعالى، والشيخ يفعل الشيء لله، فالشيخ في مقام المقرّبين، والخادم في مقام الأبرار، فيختار الخادم للبذل والإيثار والإرتفاق من الأغيار للأغيار، ووظيفة وقته تصديه لـــ"خدمة" عباد الله.

---

[123] – (لالاند) أندريه، " موسوعة لالاند الفلسفية "[vocabulaire technique et critique de la philosophie]،ترجمة : خليل أحمد خليل ، المجلد الثالث ، ط1،منشورات عويدات ، بيروت ـــ باريس، 1996 م ، ص: 1290 .

[124] – أنظر:"المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة" ، التوزيع :المكتبة الشرقية ، طـــ 2، دار المشرق ، بيروت ، 2001م ، صص: 369 -370 .

وفيه يعرف الفضل ويرجّحه على نوافله وأعماله، وقد يقيم من لا يعرف الخادم من الشيخ الخادم مقام الشيخ، وربّما جهل الخادم أيضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم في هذا الزمان، وقناعة كثير من الفقراء من المشائخ باللقمة دون العلم والحال، فكلّ من كان أكثر إطعاما هو عندهم أحقّ بالمشيخة ولا يعلمون أنّه خادم وليس بشيخ. والخادم في مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى"[125].

- **توطئة لغوية " للخدمة":**

"الخدمة" بصفتها مفهوما فلا يمكن تركها دون ضبط خيوطها المنهجية وخاصة حين مقابلتها بلفظة أصيلة عند المفكر بوصف اللفظ كينونة إيجابية تتحاور مع مستخدمها في إطار وجودي مفترض، يرتد إلى الجذر اللغوي من حيث الإنزياحات المعرفية الناتجة عن التَبيئة الدلالية، في حقل معرفي دون آخر.

ويقول (الككيّ) وبرغم أنّ الألفاظ تولد جوفاء، ولكن المفكر هو الذي يوظفها- على حدّ تعبير أحد المفكّرين الأفارقة – يحتاج الأمر إلى بيان الإشكال المصطنع في سياق العامة بين: "الخدمة" (جَفْ) – Jaf- و"العمل" (لِكيِيْ) – likîy-[126].

وذلك لأنّ "الخدمة" (جَفْ) من حيث الدلالة اللغوية هي: الفعل الجاد ذو مشروعية إيدولوجية / رؤية للعالم، يؤدّى في أريحية فكرية / عقدية.

وهذا المعنى الفلسفي لا يحتويه البـــتّـــة كل من اللفظتين المتوازيتين: "العمل" / (لِكيِيْ)،لأنهما يعنيان فعلا يؤدّى بصورة قهرية ولو وجدانيا، أو يعنيان "حركة إنتاجية قصدية؛ تؤدّى ذات معاناة وجدانية".

---

[125] – أنظر :(الغزالي)، الإمام أبو حامد، "إحياء علوم الدّين"، المجلد الخامس، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت،(1419هـــ/1998م)،الملحق الثالث "عوارف المعارف" للشيخ السهرورديّ،ص: 76.(راجع أيضا: "معجم مصطلحات الصوفية" لعبد المنعم الحفني، ط 1، دار المسيدة- بيروت ،(1400هـــ/1980م)، صص:88-89).

[126]– وكلمة (جف، لكيي) ألفاظ (ولفيّة) "wolof".

والباحث (الككيّ) يمضي إلى القول بأنّنا إذا نظرنا إلى القاموس المعرفي في أنظمة الدلالة الإفريقية نرى: "التكليف" من حيث هو: فعل جاد رؤية للعالم، لا يترجم باللغة الولوفية : إلى "تُكُّ لِكِيي" – tukk likîy – ولكن إلى: "تُكُّ جَفْ"- tukk Jaf-

وفي الترجمة الإسترجاعية يظهر مدى وعي العقلية الولوفية لرسالة التكليف- أو قل فلسفتها – فتستحل إلى "التكليف بالخدمة" ومعناها التكليف بالقيام بأعباء الخلافة القائمة على العبودة الحقة لله سبحانه وتعالى، وفي هذا إثراء للفكر الإسلامي.

وهكذا تعني لفظة "الخدمة" (جَفْ): حركة إنتاجية ذات قيمة معنوية قصدية الطبيعة، تؤدى في أريحية مطلقة" – مزيد من التفصيل في البعد الحضاري - .

و"الخدمة"إذن في اللغة الولوفية، تأخذ منظور الهمّة والإرادة الفاعلة، زيادة ربما على المدلول الذي يتشبع به اللفظ العربي الإسلامي[127].

– توظيفات الخديم Ψ لمنظومة"الخدمة":

"نظرية الخدمة": هي أطروحة من أكبر المفكرين الأفارقة ذوي النزعة الصوفية التتنويرية والتجديدية و هوالشيخ أحمد بمب،قدّمها للعالم كتجربة معيشة صهرتها الظروف وأملتها مقررات السماء[128] حيث ترك لنا مهمة تنظيره على قالب"أكاديمي"إبستمولوجي.

النظرية :هي إنشاء تنظيري للعقل، يربط النتائج بالمبادئ .

والنظرية في مقابل ممارسة(pratique) في نظام الوقائع : مايكون موضوعا لمعرفة مجرِّدة . مستقلة عن تطبيقاته . « بكيفية عامة تتعارض الممارسة مع النظرية .مثلا الفيزيا البحتة هي بحث نظري ، والفيزياء المطبّقة تتعلّق بالتطبيق»[129].

[127] – أنظر: (الككي)، "نظرية الخدمة"، ملتقى تيكماطين السنوي للفكر الإسلامي، الدورة السادسة، من 14 – 15 يوليو 2006م (المورتانيا) الورقة المريدية: ، ص:4. (إقتباس بتصرف).

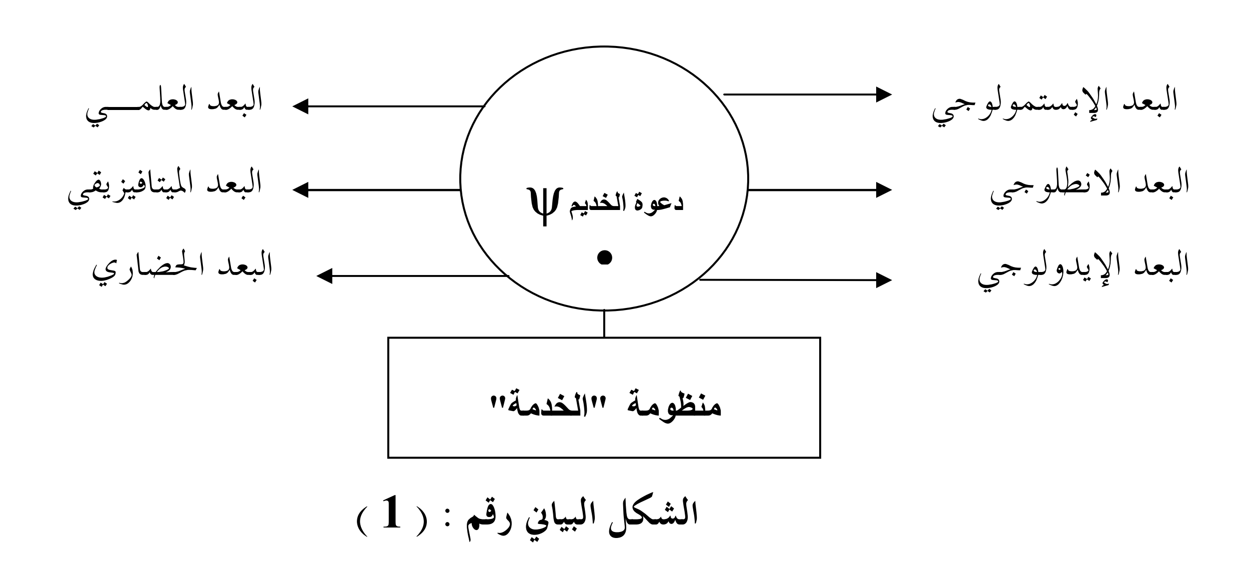
[128]- أنظر: (الككي)، "نظرية الخدمة"، ص:1.

[129] – (لالاند) أندريه،المرجع نفسه، ص:1454 .

النظرية هنا تعني : (تنظير الأفكار والأعمال)،وذلك بتجريد المدلولات الصوفية المستكنّة والمؤسسة للواقع العملي في "خدمة"الشيخ العبد الخديم-قدّس الله أسراره- إلى رموز تنظيرية على قالب فكري يكون الفكر فيه مجلى الحقيقة وعمدها.[130]

و"الخدمة" أيضا بوصفها "منظومة معرفية" - وهي التي نحن بصدد دراستها وتحليلها- تحاول الإجابة عن أسئلة الواقع المثارة [إبستمولوجيا، وأنطولوجية،وإيدولوجيا، وعلميا، و ميتافيزيقيا، وحضاريا]، بواسطة جهد تأويلي يقوم به "الخادم "/الخليفة لتنزيل النص الرباني على طينة الواقع،ويتحقق ذلك فهم الكتاب/المنثوركمنطلق لأسباب النزول على إجابة السماء،والنص الرباني أيضا كمنهج إصلاحي تطويري للكون كمسرح للخلافة الإنسانية.

وفيما يلي شكل بياني أوضحت من خلاله أبعاد منظومة" الخدمة" المراد دراستها وتحليلها في هذا البحث .



الشكل البياني رقم : (1)

فمفهوم "الخدمة" كما يذهب إليه الباحث (الككيّ)، له توظيفات متعدّدة ومتناقضة في بعض الأحيان، ولكن وفق المرجعية الفكرية والمعرفية التي اعتمدها المفكر الذي وظفها في منظومته المعرفية مثلا كما عند ابن سيناء حين وظف "الخدمة" في فلسفته المشائية أي (الأفلاطونية

---

130 - (الككي)، "نظرية الخدمة" ، صص:1-3.

الجديدة) بمعنى وظيفة تؤديها العقول بدءا من الأدنى إلى الأعلى (العقل القدسي)[131]. وكذلك عند المفكر الإيراني علي شريعتي[132]، الذي قد جعل مفهوم "الخدمة" ينحو منحى سلبيّا في مقابل "الإصلاح" الذي يراه مهمة خليفة الله في الأرض. ولكن الجديد في مفهوم "الخدمة" لدى الشيخ الخديم ψ هو جعل "الخدمة" منظومة معرفية توائم بين متطلبات الجسد والروح في بنية أحادية المصب ألا وهي: "إصلاح العالم وفق نظرية "الخلافة الإسلامية" في بعديها المعرفي والإجتماعي"[133].

يقول الشيخ الخديم ψ في هذا الصدد:

فالعلم والعمل جوهـــران   لخيري الدارين يجلـــبـــان

وأشرف الأصلين علم قدّما   كما به أتى حديث مَن سما

إذ كلٌّ عامل بلا علم يُرى   فسعيه مثلُ هباء نُثرا [134]

---

[131] – أنظر :"النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية"،لحسين مروة ، ط 4، ج 2، دار الفارابي، بيروت، 1981م. (وانظر كذلك :"معجم المصطلحات العلمية العربية"،لفائز الداية ،ط1، دار الفكر المعاصر ،بيروت ، سنة 1999 م ،ص:122.)

[132] – راجع: (الفرق بين "الخدمة" و الإصلاح) في كتاب "العودة إلى الذات "،لعلي شريعتي، طـــ 2،-القاهرة، 1413هـــ/1993م : صص: 148-155.

وعلي شريعتي هو واحد من أهمّ مفكّري الإسلام المعاصرين ،عاش حياة قصيرة لم تتجاوز الثالثة والأربعين حيث تمّ إغتياله في مدينة (لندن LONDON) على يد شاه إيران، ذلك الشاه الذي أسقطه الشعب الإيراني فيما بعد مطلع عام 1979م. وهذا الكتاب"العودة إلى الذات "، ترجمة عن الفارسية د. إبراهيم شتا ، أستاذ اللغة الفارسية بكلية آداب (القاهرة)، وهو أيضا واحد من ضمن (120) مؤلفا ما بين فلسفي، وأدبي ،ورسالي أنجزها الدكتور في حياته. راجع: "العودة إلى الذات".

[133] – وكان ذلك ضمن محاورة مع (الككيّ) في مقابلة أثناء إعداد المذكرة ، طوبى،السنغال، يوم الإثنين 2008/11/10م.

[134] – (البكي) الشيخ أحمد بمب، "تزود الشبان إلى اتّباع الملك الديان"، ديوان في التوحيد والفقه والتصوف والنحو وغيرها من شتى الفنون، ط. 1، طبعت بمطبعته الطوبوية على نفقة الشيخ عبد الأحد البكي، طوبى، السنغال، 1397هـــ، ص:50.

المبحث الثاني

تباشير ظهور " الخدمة"

ظهر انقلاب في الموازين "النفسية " عند الشيخ أحمد بمب ــ قدس الله أسراره ــ في عام 1311الهجري الموافق حوالي 1894 الميلادية ، بعد جولان[135] في عالم (التحقيق المنهجي) وحده [136].

و" التحقيق " كما ورد في " المنجد ... " هو : تقصي المعلومات والتثبت من صحتها[137] .

و " منهج " هو: طريق نصل من خلالها ، وبها ، إلى نتيجة معيّنة ، حتى وإن كانت هذه الطريقة لم تتحدّد من قبل تحديدا إراديا ومتروّيا .« هنا يطلق اسم الترتيب على فعل الفكر الذي يكون له ، حول موضوع واحد ... عدّة أفكار ، وعدّة أدّلة ، فيرتّبها على أفضل وجه لجعل الموضوع معروفا . وهذا ما يسمى أيضا منهجا . كل هذا يجري بنحو طبيعي ، ويتم أحيانا على نحو أفضل لدى هؤلاء الذين لم يتعلّموا أيّة قاعدة من قواعد المنطق ، مما يجري لدى أولئك الذين تعلّموها ».

" منهجي " ، " منهجيا" : وتتضمّنان تصورا فكريا مسبقا للحظة الواجب إتباعها.[138]

وبناء على ما سبق يمكن أن نستخلص تعريفا جامعا كإطار تحديدي لمفهوم " التحقيق المنهجي " فنقول هو: **تقصي المعلومات والتثبت من صحتها بطريقة منظمة وفق مبادئ معينة.**

ويقول (الككيّ) هو : **" وضع مقولات العقل المجرد ومحصلاته الأولية على محك العقل المستفاد، أملا في بلوغ الوسع لوعي الحقيقة المطلقة"**. وذلك قبل إعلان الشيخ الخديم ψ ما بات معروفا " بالخدمة " .[139] "فالخدمة" إذن قد تطوّر في فكر الشيخ الخديم ψ إلى مرحلتين :(الإضمار والإعلان بينهما عام "البيعة " أي عقد بيعة "الخدمة" بينه وبين الرسول ρ).

---

[135] ــ وكانت مرحلة قصيرة ، تبدأ من مشارف سنة 1300 هــ / 1882 ــ 1883 م إلى مشارق سنة 1301 هــ/ 1883ــ 1884 م . و هي مرحلة في غاية الأهمية، الغرض منها :"طلب التحقيق رجاء أن يعثر على من يأخذ بيده إلى منتهى همّته"، راجع:"منن الباقي القديم..."،ص: 144.

[136] ـــ (الككي) " نظرية الخدمة " ، ص : 5 .

[137] ــ "المنجد في اللغة العربية المعاصرة "، المرجع نفسه ، ص : 308 .

[138]- أنظر : (لا لا ند) أندريه، المرجع نفسه ، صص: 803-804 .

[139] - (الككي) " نظرية الخدمة" ، ص : 5 .

أولا: مرحلة الإضمار:من سنة 1301هـ / 1884م إلى 1310هـ / 1893م

وقد أرّخ الشيخ أحمد بمب لهذه المرحلة محدّدا معايير تلك الفترة في كتابه " جزاء الشكور "فقال:

أوّل ما ابتدا به الخديم تعلّق بمن له التقديم

وأظهر "الخدمة" عام جَيْسَشِ[140] وقلبه أضمرها من أَسَشِ[141] (*)

وفي أثناء هذه المدة حصل التعرّف بالأشياخ الكرام بواسطة العناية عن طريق الأوراد، لا ترقية الملقنين ، فتراه يعطف إلى من لهم منّة ما عليه بمنظومة قد رتّبها على حروف قوله تعالى :

[بسم الله الرحمن الرحيم] وهي المسماة "بالتوبة النصوح " فقال :

مشائخي سيدنا الجيلاني والشاذلي معه التيجاني

أئمتي في الفقه مالك العلي والشافعي والحنفي والحنبلي[142]

وكان له في كل واحد من هؤلاء المشائخ ثناء وشكر، وللمشائخ أيضا على الشيخ الخديم ψ منّة الاقتداء بهم ــ رضي الله تعالى عنهم ــ وبعد هذا التلقين للأوراد ، رجع إلى الله سبحانه وتعالى مخلصا إليه في الافتخار والاعتماد وقلبه معلق بمحبة الرسول ρليرفعه سبحانه وتعالى إلى مواصلة الحبيب ρ.

عام " البيعة ": 1311هـ / 1894م

وكان هذا العام بمثابة فاتحة لعهد جديد في حياة الشيخ الخديم ψ الروحية، لأن فيه تمّ إنبرام عقد بيعة " الخدمة " بينه وبين الرسولρ. ويقول في قصيدة مرتبة بحروف (أبتثج) مؤرخا لتلك "الإنعطافة والعتبة المعرفية " [143] مصرّحا بمبايعته له ρ وتفريده من بين الوسائل ، ولكل حرف من الحروف الهجائية أبيات، قال في مطلعها :

الحمد لله الذي صرفني بلطفه عن بدع للسنن

أشكره جلّ على الكتاب والسنة البيضاء والصواب

---

[140] ــــ تعادل 1313هـ / 1896م

[141] ــــ تعادل 1301هـ / 1884م

(*) ــــ (البكي) الشيخ أحمد بمب ، "جزاء الشكور "، ترجمة وطبع : دائرة طلبة المريدين بجامعة دكار ، 1410 هـ /1989 م ، مكتبة الشيخ الخديم ψ، طوبى ، السنغال ، ص: 74.

[142] ــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه، ص: 165.

[143] ــ وهكذا عند (الككي) ،وأيضا عند محمد غالاي انجاي ، المرجع نفسه ، ص: 9.

أشكره على الفروض والسنن ثم على غير هـما من المنــــن

أستغفر الله الذي يجري القضا بإذنه ممـا جنيـت ومـضـى

أبايع اليوم الرسول المصطفى " بخدمة " وأسـأل الله الـوفـا

أعاهد الله على أخذ الكتاب "بخدمة" للمصطفى باب الصواب

أحق جملة الورى " بخدمتي" بالنظم والنثر رسول الـرحمـة

إلى أن قال في الحرف الزاي :

زهدني طلوع سمش في النظر إلى النجوم في السماء والقمر

زهدني خدمته المرضيـة في خدمة الملـوك للـهـدية

زمامي اليوم جعلته أبـد في يدّ أحمـد لطاعة الصمد[144]

تنبيه : فالاستغفار هنا كما قال صاحب " منن الباقي القديم " : " ... هو في إيمانه الفطري وحبه للموجد القديم، من شعور في عاطفته وميله إليه في طبعه، دون أن يأخذ العقيدة من طريقه التكليفي ، ويؤثر مولاه من شهوده المنة منه لا من الطبع الموفق وحده ، وتأسفه مما مضى منه على غير هذا التعبد المخلص فيه النية كما طُلب الجن والإنس هي ما أدام حزنه وأكثر تلهفه ، أما جرما ارتكبه أو اثما اقترفه فليس في مدارك إنسان قريبا كان أو بعيدا هذا في أول سن التكليف " [145] .

فتوبته ψ أيضا كما يقول صاحب " منن الباقي القديم " : **هو عناية من الله –تبارك وتعالى– لا عن جناية مقترفة ولا إثم مرتكب ، ولكن نظر المقربين فيما به الكمال لا فيما يسقط به الجرح ، ومقامهم العبودة وحالهم الترقي في العلوم واالإزدياد منها ـــ رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه ونفعنا بهم اللهم آمين– ."** [146]

وقد زاد الشيخ الأمر توضيحا حين أزاح الستار عنه في قصة شهيرة جرت بينه وبين آل الشيخ سيدي باب [147]، بأنه حرام عليه أن يتشبث بأذيال شيخ على وجه الأرض بعد أن أقبل إليه الرسول ρ بالتربية والترقية . فقد كانوا ذات يوم يريدون الإرتحال من محل لآخر لضرورة الماشية؛

[144] ـــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه، صص : 152-153 .

[145] ـــ المرجع السابق، ص : - 114 .

[146] – المرجع السابق ، ص: 168.

[147] – سبق التعريف به ، راجع : الإحالة رقم : 107، ص: 40 .

فتثاقل الشيخ أحمد بمب في الإرتحال ، فلما طال عليهم الأمر قال له رسل آل الشيخ سيدي بعد ما ترددت إليه : " أيها الشيخ أنت أعلم منّا فنسألك : أهكذا يفعل المريدون مع أشياخهم ؟ يعرض بأنه يخالف أمر الشيخ (سيدي) شيخه ، بزعم القائل . فقال له الشيخ أحمد بمب : يأتيك الجواب إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى الشيخ سيدي براوة قال فيها : " إني لست بتلميذ لكم والشيخ يعلم أنه ليس بشيخ لي .و حرام علي أن أتعلق بأحد على وجه الأرض وذلك ليس بازدراء للمشايخ مني ولا استحقارا لهم، إنما ذلك من وجه أن رسول الله ρ أقبل علي يربيني ويرقيني ويحرم علي الإدبار عنه ــ عليه الصلاة والسلام –"ولما وصله الكتاب زال اللبس والدعوى عن جاهليه ، واتصلت صفاء المودة في الله ورسوله بينهما من فضل الله ورحمته .[148]

وهنا تراءى للشيخ ــ قدس الله أسراره ــ أن الإسلام بسيط كل البساطة فلا داعي للابتداع دون التعويل على الأصول : الله / الرسول ، الكتاب / السنة ، العبادة / " الخدمة [149]".

وهكذا رفض الشيخ الخديم ψ كل ما يعكر جوّ العلاقة بين : الخادم / الإنسان (العبد)، والمخدوم / الرب، الرسول ρ / الكتاب ، السنة .[150]

وهذا مضمون قول صاحب " منن الباقي القديم... " : " رجوعه من الافتقار من المخلوق إلى الافتقار إلى الخالق ومن التوسل بالأسباب إلى التوسل بخير سبب وأوله سيد الوجود ρ "[151].

وقال أيضا في حرف الظاء مؤكدا ما ذهبنا إليه سابقا :

ظهر لي أنّ اعتصاما بالكتــاب	**وبحديث المصطفى هو الصواب**
ظهري إلى الله التجا من يومـــي	**هذا بذين لأجـــــــــل يـــوم**
ظلمه نفسه الـــذي لم يعتصـــم	**بالعروة الوثقى التي لا تنفـــصم**
ظللت عابدا"خديما " للرسول	**من عام أَيْسَشٍ[152]إلى عام رحيل**

فقال الشيخ ــ قدس الله أسراره ــ بعد نفض القلب من الأغيار محددا محاور " الخدمة" في صورة إجمالية :

---

[148]– أنظر: المرجع السابق ، ص :167.

[149] –راجع: ص: 60 من البحث ، الفقرة الأولى .

[150] ــ أنظر : (الككي) " نظرية الخدمة " ، ص : 6.

[151] ــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه، ص : 152

[152] ــ تعادل عام 1311هــ / 1894م

بالله آمنت وبـــالقـــــــــرآن وبرسول الله بـــدء شأني

بمدحي الـــدهر رســـول الله وبصلاتي عليـــه جاهـــي

بمدحه أفوز عند مـــــــوتي كما به أدرك كل فـــوت

"بخدمة" الكتاب والحديث يثبت لا بذهب موروثي

والمدح هنا حسب الرؤية الخديمية هو : " الاستحضار الملإيّ للمزايا المصطفوية وتفعيلها في جوانح النفس البشرية " . هو أساس روح " الخدمة [153]".

وهكذا ترك الشيخ الخديم ψ بصماته في سجل التاريخ مسجّلا بذلك " انعطاف معرفية " في مدح الملوك والأمراء الذي كان معروفا في عصره والغرض منه لم يكن إلا لإصابة الجوائز والمتع الدنيوية الفانية ، فجدّد المدح بذكر الشمائل المصطفوية ـــ عليه السلام ـــ وتفعيلها في جوانح النفس البشرية فقال :

زهدني " خدمتـــه " المرضيـــة في خدمة الملوك للـــهديـــة [154]

وهكذا بدأت تباشير ظهور " الخدمة " في الإنبلاج ،ثم أكّد الشيخ ـــ قدس الله أسراره- صيرورة " الخدمة " معاهدا ربه ورسوله الكريم ρ بأن " الخدمة " هي تمحور دورانه وانجلاء سكونه فقال :

زمامي اليوم جعـــلتـــه أبـــــد في يـــــد أحمد لطاعة الصمد

وقال أيضا :

ظللت عابدا "خديما" للرسول من عام أَيْسَشِ[155] إلى عام الرحيل

وهكذا توطدت دعائم " الخدمة " في دنيا الواقع كما قال العلامة الشيخ محمد البشير:

"وكانت التربية بالأوراد فصارت بإقامة شعائر الإسلام واستدامة الذكر ، والتذاكر فصارت تابعة بعد أن كانت مسايرة وكانت التواليف في تحقيق العلوم الشرعية ، فصارت الكتابة في التحقيق بحقائقها والاتصاف بمحامدها وغادرها رسوما ثبت عليها مدارج السلوك لمن عني بالهدى وكانت المعاملة مع المعاصرين بالمداراة والمصالحات فصارت إلى الصراحة بالحق، والمقاطعة على حدود الشرع أعني به أن تكون المعاملة بحسب مقتضى الشرع حبا وبغضا بلا مداراة ولا مداهنة " [156].

---

[153] ـــ (الككي) ،" نظرية الخدمة " ، ص : 6.

[154] ـــــ(البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه ، ص : 153

[155] ـــ تعادل عام 1311هـــ / 1894م

[156] ـــــ أنظر : (الككي) " نظرية الخدمة " ، ص : 6.

ثانيا: مرحلة الإظهار: (1313هـ / 1896م)

أي الشروع الرسمي" للخدمة " خروجها من الخلوة إلى الجلوة ، وتشير أيضا هذه المرحلة إلى بداية " الخدمة البحرية" التي هي سرّ إبعاده إلى الغابون (Gabon) من قبل السلطات الإستعمارية الفرنسية . وكانت مدينة (طوبى) خلوة الشيخ آنذاك مدينة: غير مؤهلة لتلقي (نعمة في طيّ نقمة) وهي من إرهاصات الغيبة البحرية التي سببها "مقدمة الخدمة في الصلاة على مقيم السنة". كما ينص صاحب "منن الباقي القديم..." [157] .

أنظر كيف افتتح الشيخ هذه المرحلة بهذا الكتاب الذي عنوانه يغني عن البيان لسيرته التامة بمشروع "الخدمة"، وعن هذه المرحلة يقول الشيخ الخديم ψ محدّدا معايير تلك الفترة :

وأظهر " الخدمة" عام جَيْسَشٍ[158] ....(*)

كما نرى أن الشيخ الخديم ψ في تحقيق سيره إلى الله سبحانه تعالى توسل بالوسائط (المشائخ والأوراد) قبل عام (البيعة) الذي يعتبر بمثابة " انعطافة منهجية " بينه وبين غيره من المشائخ الذين كان يتوصل بهم، فظل من هنا يتوسل بالواسطة العظمى الحبيب محمد ρ وتلك المرحلة مسجّلة في غير ما موضع من مؤلفاته ، فيقول مثلا :

أبايع اليوم الرسول المصطفى " بخدمة " وأسأل الله الوفى[159]

كما يشير أيضا إلى ذلك في منظومته المطرّزة بحروف قوله تعالى:[إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم] فيقول:

بايعته على عبادة لكـــــا ثم على " خدمته " لوجهكـــــا[160]

فالشيخ الخديم ψ كان منهجه التدلّي ، وذلك بالبدء من الكليات كمسلمة يقينية مرورا بالآثار قال تعالى : [أولائـــك الذين هدى الله فبهداهم اقتد[161]] تحقيقا للمسلمة الأولية في دنيا

---

[157] – أنظر : " الفقهاء والصوفية في الغرب الإسلامي ودلالات التقريب " ، تأليف : ندوة (تيكماطين /موريتانيا الإسلامية) ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا ، 1378 هـ/ 2010 م ، ص:104.

[158] ـــ تعادل 1313هـ / 1896م

(*) ـــ (انجاي) محمد غالاي، المرجع نفسه ، ص : 17

[159] ـــ (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه، ص : 152

[160] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " إن الذين يبايعونك ..."، ديوان القصائد الخديمية المقيدة بالآيات القرآنية ، ج 1 ، ط 1، ـــ مخطوط ـــ بمكتبة الشيخ الخديم ψ ، طوبى ، السنغال ، 1395 هـ / 1975 م ، ص: 502 .

[161] ـــ سورة الأنعام ، الآية : 90 ـــ وراجع أيضا : الشيخ محمد البشير البكي ،" منن الباقي القديم ..." صص : 113- 116.

الواقع المعاش قال تعالى: [رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي[162]].(#)

[162] ـــــ سورة البقرة ، الآية : 259 .

(#) - وذلك ضمن محاورة مع الككي أثناء البحث الميداني ، طوبى يوم الخميس 2009/03/12م .

المبحث الثالث

لـــبّ نظرية "الخدمة"

"الخدمة" كمنظومة خديمية جديدة على الساحة، وهي في بعدها العلمي كما قعدها لنا الشيخ العبد الخديم ψ بقوله: "الخدمة "هي: العبادة، وإنّما العادات[163] معينة على العبادة"[164].

فالعبادة بمفهومها الشامل إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة في الدّين والدنيا. وهي في حقيقتها فعل الأوامر وترك النواهي؛ وفي الأوامر كلّ ما يحبه الله ويرضاه، وفي النواهي كلّ مالا يحبه ولا يرضاه.

وهذا المفهوم للعبادة يقرّرها الشيخ الخديم ψ بقوله:

إعلم بأنّ الدين شطران كما نصّ به قبلي بعض العلـــما

فأول ترك المناهي مطلــقا دع المناهي لباق أطـــــلقا

والثان فعل كل شيء أمرا به ومن يدمه يكفي الضررا.

والعبادة بهذا المفهوم هي الأصل في الوجود والغاية من الخلق يقول سبحانه وتعالى: "وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون"[165].

فالعبادة إذن تحتل مكانة عالية في الحركة الإصلاحية التجديدية "المريدية" إذ هي القصد والغاية، ومن خلال الآية الكريمة تبيّن لنا أنّ العلاقة بين الخادم والكون تحكمها منظورية التعمير [العبادة / "الخدمة"] – مزيد من التفصيل في البعد الإيدولوجي- .

وموقف "المريدية" من العبادة تتجلى وتظهر من خلال النصائح والوصايا التي كان يوجهها الشيخ الخديم ψ إلى جميع أتّباعه بصفة خاصة، وإلى جميع المسلمين والمسلمات بصفة عامة حيث كان يحثهم إلى ملازمة العبادة ومداومتها والحرص عليها فيقول في بعض نصائحه: **"إنّه منّي إلى جميع المُريدين والمُريدات سلام طيّب يعصم الجميع من المَريدين والمَريدات، ويدخل الجميع**

---

163 – أي الوسائل المادية والنفسية .

164– أنظر : (الككي) ، "نظرية الخدمة" ، ص: 7.

165– أنظر : المحاضرة الثانوية بعنوان "المريدية : حقيقتها ومبادئها"، دائرة روض الريّاحين – طوبى – 18 صفر 1430هـــ / 14 فبراير 2009م ،ص:13.(إقتباس بتصرف).

في السلامة والعافية في الدنيا والآخرة بجاه رسول الله – صلى الله عليه بآله وصحبه وسلّم وبارك –. أمّا بعد، فإنّي أمرت كلّ من تعلّق بي لوجه الله تعالى الكريم، بتعلّم العقائد والتوحيد، وأحكام الطّهارة والصّلاة والصيام وغيرها من كلّ ما يجب على مكلّف وإنّي تكلفت لكم ولكُنَّ بتواليف يكون فيها جميع ذلك لوجه تعالى الكريم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته"[166].

لقد سبق أن بيّنّا أنّ المريدية عند نشأتها[167] واجهت تحديات كثيرة منها التي كانت متمثلة في إنتشار الجهل، والإنحراف الشديد عن جادة القصد أي (العبادة / "الخدمة").

ففي معرض وصف الشيخ الخديم ψ لتلك الأوساط الإجتماعية الخاصة التي كان الذين تقمّصوا بزي العلماء والشيوخ أهل الولاية والعرفان يستميلون العامة لإستخدامهم في خدمة أغراضهم الخسيسة ، فكانوا بمثابة فِخاخ . يقول الشيخ الخديم ψ منبّها قومه من شرورهم الدفينة ومبيّنا أيضا في نفس الوقت طريق النجاة منها وذلك باتّباع طريق الأولياء الكمل:

قلت فمن يرد صلاح العمل فليركَنن للأولياء الكمـــل

إذ بان جهرا أنّما شيـــوخ هذا الزمان جـــلهم فخوخ

وبعضهم يركـــن للتصـــدر إلى رايـــة بلاتستـــــــــــر

ولم يميز بين فـــرض وسنن ويجذب الورى لموجب الفتن

ويدعي الكمال والولايـــة يهدى الورى بكثرة الرواية[168]

وهكذا يمضي الشيخ الخديم ψ في معرض بيان حالهم حيث يكشف عن سوء فهمهم وجهلهم فيقول:

ويدعي البعض الوصول تاركا عبادة حتى يصير هالكا

وغرّهم في ذاك سوء الفـــهم ودنس الحجى بغير العلم

---

[166] – الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين، "إرواء النديم..."، ص : 72.

[167] – راجع: ص: 28، من هذا البحث.

[168] (البكي) الشيخ أحمد بمب،"مسالك الجنان ..." ، ص : 209 ، رقم : 1433- 1437.

وفسروا لفظ "اليقين" باليقين   في آخر الحجر بلا موت يحين[169]

ومن الملاحظ أنّ هناك مفارقة أليمة بين "المريدية" كدعوة إصلاحية وما عليه أتباع الحركة اليوم، حيث يستميل بعض الشيوخ الدهماء لأغراضهم الشخصية.

وهكذا يتحول مفهوم "الخدمة" إلى: "تصور صوفي يتمحور حول معاني العلم والعمل" يقول الشيخ الخديم ψ :

ولتعلمنّ بأنّ علما وعمل   هما وسيلتا السعادة أجل

والسعادة هنا هي: الأبدية أو بتعبير "كلام المتأخرين" السعادة القصوى، و(العلم) هنا هو علم العبودية والربوبية، يقول الشيخ الخديم ψ :

وأفيد العلوم للقلــوب   علم العبودية والربــوبي

و(الربوبية) هي: مربط الفرس في "الخدمة"، وبالربوبية يتحدّد معنى "الخلافة" ويتعيّن دور خادم الرسول ρ ومهمته في إصلاح العالم[170].

فالخلافة بهذا المفهوم هي بحقّ المشروع الإلهي العملاق الذي من أجله إختار الله "الإنسان" بدلا من "الملك" ليكون خليفته في الأرض[171]، قال تعالى: [وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعـــــل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيهامن يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك ...][172]

ولأهميتها القصوى ، فقد سخّر الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات الأخرى الموجودة في الأرض ، وجعلها في خدمة "الإنسان" وذلك ليستطيع القيام بوظيفته في الحياة على أكمل الوجه، قال تعالى : [وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ...][173].

---

[169] المرجع السابق ،ص : 211 ، رقم : 1460-1462.

[170]- (الككي) ،" نظرية الخدمة " ، ص : 7 .

[171]- (انجاي) محمد غالاي، المرجع نفسه، ص : 58.

[172] – سورة البقرة، الآية: 30.

[173] – سورة الجاثية ، الآية : 13 .

كما أنّها أيضا تكريم وتفضيل للكائن الإنساني، وتمييز له على سائر الكائنات الأخرى، يقول الله عزّ وجلّ:[ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضلناهم كلى كثير ممن خلقنا تفضيلا][174].

فالخلافة إذن تستوجب المسؤولية والأمانة اللّتين الغاية منهما هي "العبادة" قال تعالى : [إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوما جهولا][175].

ومن هنا تظهر عناية الله سبحانه وتعالى بـــ"الإنسان" ومننه عليه ، إذ منحه العقل الذي يعتبر "الجوهر الثمين" الذي بفضله يستطيع الترقي في العلوم ، ويعي ويفهم ويتدبّر الأشياء من حوله فيخطو خطوات نحو الإبداع والتّقدّم ، وفي ذلك يقول المولى عزّ وجلّ : [كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون][176].

ولكي يقوم الإنسان بدور الخلافة على أكمل وجه ، لا بدّ من السير على ضوء العقل والوحي ، وإلى هذا المعنى يشير الشيخ الخديم ψ في مطلع قصيدته المطرّزة بحروف قوله تعالى : [ولقد كرّمنا بني آدم ...] :

وجهتُ وجهي لمن تكريمه بانَا   في شهر مولد مَنْ في البحر ربّانَا[177]

حيث يعتبر كرامة "الإنسان" متحققة بميلاد الرسول ρ وبعثته ، ومن هنا تتبيّن مهمة خادم الرسول ρ ودوره في إصلاح العالم – هو ما نحن بصدد معالجته وبيانه في هذا البحث – فيتمكّن من أداء مأموريته تجاه سلوكه مع خالقه من جهة ، وتجاه سلوكه مع نفسه ، ومع سائر فئات المجتمع التي يعيش فيها من جهة أخرى[178].

---

[174] – سورة الإسراء، الآية: 70.

[175] – سورة الأحزاب، الآية: 72.

[176] – سورة البقرة، الآية: 242.

[177] – (البكي) الشيخ أحمد بمب،"ولقد كرمنا بني آدم ..."، مجموعة مباركة للشيخ أحمد الخديم – كان له بكرمه الباقي القديم - جمعية أتباع الشيخ الخديم ψ لطبع ونشر تراثه العظيم ، ج 1 ، مخطوط بمكتبة الشيخ الخديم ψ، طوبى، السنغال ، ص : 232 .

[178] راجع : (البعد الإيدولوجي).

فالعلم إذن أساس يرتكز عليه العمل، فلا فائدة من علم لا يعمل به، ولا من عمل لا يؤسّسه علم صحيح، كما يقول الشيخ الخديم ψ:

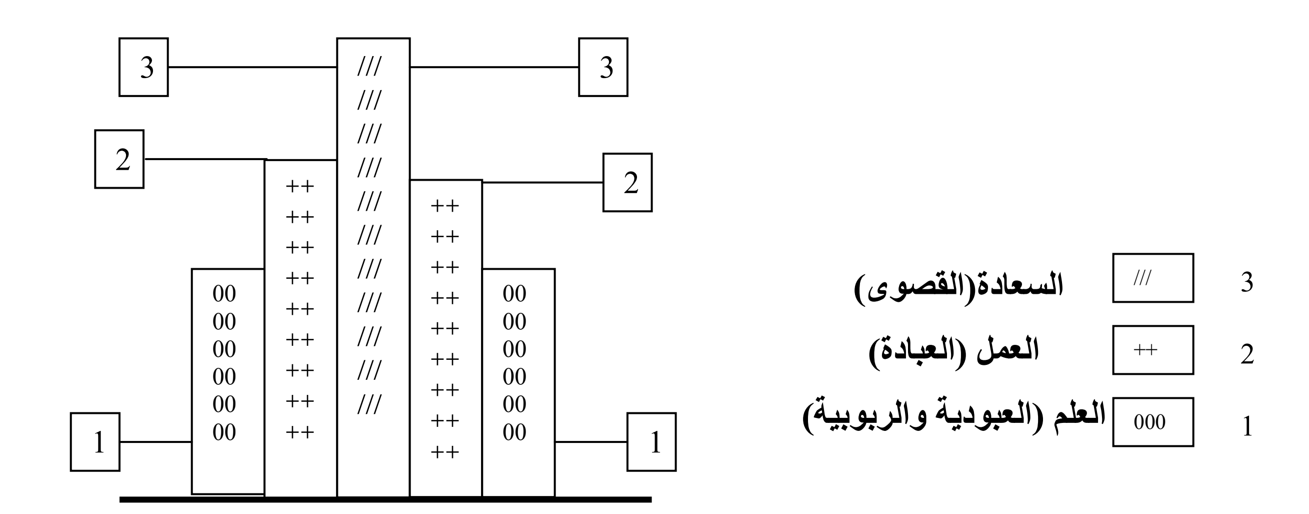
والعلم أفضل أخي من العمل وأسّه ففاز من له حـــصـــل

لاكنّما ثمره كالنفـــــــــع في عمل به فكن ذا الجـــمـــع

قليله بالعلم أكثر ثـــــواب من الكثير مع جهل لا ارتياب[179]

وفيما يلي شكل بياني أوضحت من خلاله التراتبية بين العلم والعمل والسعادة في منظومة " الخدمة " .

ومفتاح هذا الجدول هو(العلم) كما هو مبيّن:



الشكل البياني رقم : (2)

لضبط خيوط هذا المبحث فقد قدّم (الككيّ) تربة خصبة ترمي إلى إثارة الأسئلة لدى الباحثين وذلك بقدر ما تبلور رؤية منهجية مكتملة الأدوات الإجرائية، فطرح محاور نهاجية يمكن وضع لبنات عليها بعد عرضها على محك النقد العلمي الصارم، وذلك أيضا لفحص نتائجها ؛ وهي

[179] -(البكي) الشيخ أحمد بمب،" مسالك الجنان ... "، ص:37، رقم: 103- 105.

على الجملة إخراج العلم التوحيد من دائرة العراك الإيدولوجي العقيمة إلى دائرة السلوك المجتمعي، إرادة رؤية إسلامية جديدة للواقع تمهيدا لنهضة شاملة حتى تؤتي أكلها كل حين.

فالتوحيد إذن كعلم مرّ على مراحل، تمّرغ فيها على وحل التنافرات والمزايدات السياسية؛ بداية من عشية الفتنة الكبرى، أو غداة انتقال الرسول ρ إلى الرفيق الأعلى على أقصى التقدير.

فقد كان هذا العلم إيدولوجية الصراع بين جميع الفئات المتناحرة، وهكذا تولّد ما يعرف عند المصنفين بـــ"التوحيد الكلامي" بشتى مذاهبه ونحله بدءا من "المرجئة" إنتهاء بـــ"الشيعة" و"أهل السنة".

والتوحيد الكلامي، لا يفيد إلاّ في الجدال الدائر بين أهل النحل المتناقضة، والمناقشات العقديّة، التي ترمي الذب عن الإسلام، وفق الموروث الكلاسيكي ولكنه لا يسمن ولا يغني من جوع في دنيا السلوك المجتمعي.

و(الككيّ) في محاولة جادة لبلورة هذه المقدمة النظرية للجانب السلوكيّ لعلم التوحيد أي (التوحيد العرفاني) الذي حسب تعبيره قلما يقيَّد في الكتب الكلاسيكية، نراه يتطرّق إلى إستكناه لمفهوم هذا التوحيد العرفاني وتجلّيّاته الإبستمولوجية النهاجية، مقسّما إياه إلى أبعاد أربعة.

وأهمية هذا الموضوع تتجلى في قول الشيخ الخديم ψ :

أول ما يجب على المريـــد   تحصيل زاده من التوحيـــــد

و(التوحيد) هنا هو العرفاني، كما يقول أيضا مبيّنا إياه:

وبعد فالتوحيد للقسمـــين   منقسم فصار تـــوحيــــدين

فأوّل تكلّم والثـــــاني   تعرّف لا تنكرن بيـــــانـــي

وذلك للعموم ينسب كما   كان إلى الخصوص ذا قد انتمى

فالتوحيد العرفاني إذن هو: تحقيق المناط أي (كمال الإيمان، وكمال الإسلام، وكمال الإحسان) لشعورالإنسان الكامل القصدي، تجاه معبوده الحق وفق منظومة تمثل النهائي أي (الدنيا) في حضور اللانهائي أي (الآخرة) دمجا يلغي الثنائية بين الملك والملكوت في مقام الجوار[180].

[180] وهناك السلوك والسير إلى الله سبحانه وتعالى قبل مقام الجوار هنا ، وربما لنا عودة في تناولهما في دراسات لاحقة بمشيئة الله تعالى.

والجوارية: تحدث عنها الشيخ الخديم ψ في رائعته الشهيرة "جاورت الله" حيث قال في معرض أسس هذا المقام:

جاورت بالفرقان ربي المعـــين ملكت نفسي وزحزحت اللعين

أخذت من ديناه زادي للجنان وانقاد لي الهوى ولي صفا الجنان

والجوارية من هنا تقتضي إذن خصالا أربعا:

أولا: إمتلاك صاحب هذا المقام على أزمة نفسه.

ثانيا: ودحر الشيطان وحيله عن ساحة النفس.

ثالثا: الأخذ بحلال الدنيا زادا يمطتيه الهيكل الجسداني للروح، سدًّا لباب الذرائع.

رابعا: مطاوعة الهوى، حتى يوافق لما جاء به الرسول ρ تحققا وتصديقا.

ونتيجة الخصال الأربع هي: صفاء القلب، ومعاينة الغيوب، بعد التخلص من سلطان العيوب.

وفي هذا المقام تتجلى قول الشيخ أبوبكر الكتاني البغدادي (القرن الأول الهجري) بأنّ التصوف هو: "صفاء ومشاهدة". ووفق منهج المقايسة التي يتبناه صالح سلام[181] في قراءة الفكر الخديمي أو "القصائد الخديمية" تتراءى لنا ثنائيات طريفة في نظرية "الجوارية" عند الشيخ الخديم ψ – على حدّ تعبيره – ألا وهي: الفرقان / الله (الرّبّ)، النفس / اللعين الدنيا / الهوى.

وفي هذا التسلسل المنطقي نقرأ:

أنّ التحقق لا يتم إلا بالقرآن الكريم، تفعيلا لمقرراته في جوانح النفس، ليندحر الشيطان، وتؤخذ الدنيا مطية للآخرة، وفق مقررات القرآن الكريم وتوجهاته الدينامية.

وهكذا يمضي (الككيّ) في الملاحظة بأنّنا أمام تأطير لنظرية "الجوارية"، تأطيرا يمكن لكل إنسان أن يشارك الشيخ العبد الخديم ψ في تجربته الروحية.

وهذا التأطير الإبستمولوجي بمثابة إنزال "الجوارية" من أبراج الخواص الخلص إلى دينا طالبي الحق، بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم الروحية والمعرفية.

---

[181] سبق التعريف به.راجع: الإحالة رقم: 62، ص:26.

وللتوحيد العرفاني أبعاد أربعة – كما سبق أن أشار – بذلك (الككيّ)، نفصلها بالترتيب:

1)- توحيد الألوهية الذي هو كمال الإيمان

2)- توحيد الربوبية

اللذين هما كمال الإسلام

3)- توحيد العبودية

4)- توحيد العبودة[182] الذي هو كمال الإحسان

البعد الأول: توحيد الألوهية وهو: "توحيد مقومات الألوهية في ذات الله تعالى المقدسة وجودا وعدما."

وهذا الإطار الإبستمولوجي، يرمي إلى نفي التأثير بلام الجنس عن غيره تعالى فيما قلّ أو كثر، على قدم التجريد المحض، سيرا على عكاز الحقيقة، لأنّ ظلمات بدعة الإعتقاد تكفي أنوار المواجهة عن قلب صاحب تلك العقيدة الفاسدة، وتؤرق مضجعه عن ذوق حلاوة الإيمان".

وفي هذا الإطار أيضا نجد الحديث النبويّ أصدق تعبير عن تلك الحالة الروحانية، التي تموج بروح الحرية: "أفضل كلمة قلتها أنا والنبيون من قبلي لاإله إلا الله".

والعبارة تتضمن السلب والإيجاب، ففي البعد السلبي ننفي كلّ إله أو طاغوت، يُظهر الجبروتية أمام العقل البشري، وتلك درءًا لتزييف الوعي الجمعي للأمة.

وفي البعد الإيجابي نجد إقرارا لمبدء الألوهية، ولكن محصورا في ذات الله المقدسة، نفيا للعدمية عن ساحة الفكر.

البعد الثاني: توحيد الربوبية وهو: "إفراد مقاليد السلط المفهومة عن كلمة "الرّبّ" في جناب الواحد الأحد المعبود بحق سبحانه وتعالى، المنعوت بكل نعوت العظمة والجلال والكمال، وذلك عن طريق التديّن – الصحيح بدينه – المتواتر إلينا جيلا عن جيل، والمقبول عند الأمة بالإجماع، والمرسوم بالإسلام".

---

[182] – تعبير صوفي ، وهو مقام ثامن تلي مقام العبودية، بل هو الإحسان بذاته .

وفي هذا البعد – الذي يعتبر مربط الفرس في "الخدمة" – نجد الحقائق العقدية التي أقررنا بها في توحيد الألوهية ممثولة أمامنا تحتاج إلى تفعيل في دينامية السلوك القلبي المثمر للسلوك الجوارحي.

البعد الثالث: توحيد العبودية وهو: "توحيد العبادة المطلقة في جميع أشكالها الظاهرة والخفيّة، من أعمال القلوب وأعمال الجوارح لله الواحد القهار؛ بالتمرّغ في محراب الواحديّة محقا لجعافل الشرك والإشراك في دنيا الإعتقاد والسلوك".

وفي هذا الإطار يتوحد المؤمن مع نفسه حيث لا سلطة قاهرة فوقه غير سلطان الله عزّ وجلّ، يخضع لجبروتها. والله تعالى يقول في محكم تنزيله: [ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين].

البعد الرابع: توحيد العبودة وهو: «إفراد التوجه الروحاني، نحو المنظر الأعلى، دمجا للجسداني والروحانيّ، في قالب "عين الجمع في مقام الفرق" يتساوى فيه الحاضر والماضي والمستقبل في منظومة "الجوار"».

وهنا يصل المرء إلى غاية الإخلاص الذي هو سنام الأمر، وروحانية العمل في "نظرية الخدمة"[183].

كما يقول صاحب "إرواء النديم ....": "**.... هو الإخلاص الذي هو روح العمل، نتيجة معرفة العارفين الذي به يحصل الوصول الذي هو عبارة عن كون العبد خالصة لله في حركاته وسكناته وعقائده وأقواله وأفعاله وأحواله كلها ظاهرا وباطنا"**[184].

[183]– أنظر : "التوحيد العرفاني / تجديد في الأنساق المعرفية للعقلية الإسلامية " – مخطوط – في عهدة (الككي) .

[184] – الداغاني،(جوب) الشيخ محمد الأمين، "إرواء النديم..."، ص : 73 .

الباب الثاني

"الخدمة" في جانبيها التنظيري و التطبيقي

توطئة حول الأدب السنغالي العربي:

بإلقاء ضوء على الشعر السنغالي العربي بصفة عامة من حيث الشكل والمضمون، نلاحظ أنّ الشعراء السنغاليين في المرحلة الأولى قلّدوا شعراء العرب في بناء القصيدة، وخاصة في طريق تناول الموضوعات والأغراض المتمثلة في المدح والفخر والوصف والرثاء والغزل...إلخ

فالسنغال كما أنّه امتاز بكونه واحدا من أقطار إفريقيا الغربية الذي تلقّى الدعوة الإسلامية في مرحلة مبكرة ـــ كما سبق أن أشرنا إليه[185] ـــ ومن هذا المنطلق انتقل الشاعر السنغالي من طور التلقي والتقليد إلى مرحلة الإبتكار والإنتاج الأدبي . فالأدب وإن تباين آراء الأدباء في التعريف به[186] إلاّ أنّ الفهم العام للأدب نجده عند (الككيّ) في قوله : " هو مرآة تنعكس فيها حياة الأمة وخبراتها "[187] .

فالأدب إذن يتأثر بغيره من العوامل كالحياة الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويتجدّد بالضرورة بتجدّد تلك الخبرات، ولذلك يختلف أدب كل أمة من بقعة لأخرى على مرّ التاريخ حسب التّطور والتّدهور.

وللأدب السنغالي العربي مميزات نذكر منها في هذا المقام ما يلي:

أولا: أنّ حظ الشعر منه أوفر بكثير من حظ النثر وذلك لأسباب أهمّها:

1- أنّ الشعر أعلق بالنفوس وأسرع سريانا في ضمير شعب مولع بالغناء والرقص لما للشعر من موسيقى وإيقاعات خاصة كامنة في وزنه وفي قافيته.

2- كون المبتدئ بتعلّم اللغة العربية في السنغال يبدأ بالكتب المنظومة مثل "المرشد المعين في الضروري من أحكام الدين " لابن عاشر الفاسي في الفقه المالكي... وقصائد مشاهير المتصوفة مثل " البردة " و"الهمزية " في المدح النبوي للبوصيري...وحتى بعض الكتب التي كانت منثورة عقدها

---

[185] - راجع:صص:10 - 12، من هذا البحث.

[186] - راجع:(ضيف) شوقي،" العصر الجاهلي "، ط 8، دار المعارف، القاهرة ، ص :7 . راجع أيضا : (الفاخوري) حنا ،" تاريخ الأدب العربي" ،ط 12، المكتبة البؤلسية ، بيروت، 1988 م ، ص : 34.

[187] - الككيّ ،(جوب) مصطفى " مقدمة في الأدب الإفريقي الأنواع والآليات رؤية تأصيلية " حلقات دراسية مع طلبة المرحلة الثانوية للسنة الدراسية : 1999/ 2000 م ، مؤسسة الأزهر الإسلامية ـــ كولاخ KAOLACK ـــ السنغال.

السنغالي، وهكذا عقد الشيخ أحمد بمبا كتاب " الأخضري " في العبادات للأخضري الجزائري وسماه " الجوهر النفيس" ...

وإذا كان حال الشعر هكذا كما أشار بذلك الباحث **عثمان ديا** فمن المنطقي أن تصبح أهمية النثر ضعيفة[188] في هذا الأدب، ويمضي إلى أن موضوعات النثر غالبا ما تتناول الوصايا والإرشادات والرسائل التي يتداولها الشيوخ أو يوجهونها إلى الأتباع، وخطب الجمعة، والأعياد، بالإضافة إلى كتب الطرق الصوفية .

ثانيا: إنّ هذا الأدب يغلب عليه الطابع الديني وهو أدب الزاوية بشقيه المعروفين: الأمداح النبوية والأمداح الطرقية[189] ولذا نجد المدائح الدينية تحتل مساحة واسعة في هذا الأدب ، فالمدائح النبوية قاسمة مشتركة بين الجميع. ما من شاعر سنغالي بارز إلاّ وله منها نصيب معتبر.[190]

حول الشعر الخديمي وأغراضه وخصائصه ومكانته :

الشيخ الخديم τ منذ نعومة أظفاره بدأت شاعريته تتوقد ، فهاهو عالم (كجور CAYOR) ومفتيه وقاضيه ومعلّمه في ذلك الوقت القاضي مجخت كل[191] يشهد بإحساسه المرهف بتلك القدرة الكامنة فيه ، فيقول في قصيدة له مطلعها :

منِّي لأحمَدَ بَنْبَ التّاركِ النّاسِي   غيرَ الإله فأمسى سيّدَ النّاسِ[192]

وهكذا في وقت مبكر من حياته عمد إلى نظم الكتب المنثورة المتمثلة في المطولات والمتون وجعلها في مختصرات؛ تحفة يستوي فيه المبتدئ والمنتهي.

(أ)- أغراض الشعر الخديمي : لقد تناول الشيخ الخديم ψ في شعره جميع الأغراض إلاّ المستهجن منها[193] .ومن أهم الأغراض التي لم تتعرض لها الباحثون كثيرا في الشعر الخديمي (اللُّغز والإبهام والوصية والنصيحة)[194] .

---

188 – بإستشناء عهد الأمراء ، حيث كانت لغة الضاد ، هي لغة الإدارة والمراسلة (كما يذهب إليه الككيّ أيضا).

189 – يشير الباحث إلى القصائد التي كانت موضوعاتها الأساسية مآثر الأولياء.

190 – أنظر: (ديا) عثمان ، المرجع نفسه ، صص: 102- 110 (نقل بتصرف).

191– سبق التعريف به، راجع:الإحالة رقم:15،ص:15.

192 – راجع : الداغاني، (جوب) محمد الأمين،" ارواء النديم ..." ، ص: 226 .

وإلى جانب الأغراض التقليدية المعروفة من مدح ، ورثاء ، وغزل، ووصف... إلخ نماذج جدّد أطرها التعبيرية وصبغها بصبغته الخاصة. وهذا الاستخدام الفنّي الحديث يرجع إلى سببين جوهربن:

أولهما: أنّ منهجه الدّعوي الجديد من أهم بنوده ، الانصهار الكلّي في بوتقة إيمانية روحية...

الثاني: أن بيئته الاجتماعية كانت مهيئة لقبول هذا النوع من الإحداث والابتكار، مثلما حدث للشعراء في الأندلس حين ألهمتهم الطبيعة الساحرة إلى ابتكار الموشحات وغيرها من أنواع الإبداع الفني [195].

الرثاء : في الفكر الخديمي ليس بكاء على الأطلال ...ولكن بكاء القيم على من كانوا يمارسونها [196]. قال تعالى: {فمابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [197]}

الغزل: في الفكر الخديمي ليس تشبيبا وولوعا للحبيبة بقدر ما هو نقد لبريق الدنيا الفانية. قال تعالى: {يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[198] }

المدح: حسب الرؤية الخديمية هو: " الاستحضار الملإي للمزايا المصطفوية وتفعيلها في جوانح النفس البشرية " وهو أساس روح " الخدمة ".[199]

الدّعاء : " في منظومته العرفانية يستخدم كإطار فلسفي يعطي الأولوية للوجود اللاّهوتي على النّاسوتي[200] .

واللاّهوتي نعت إلهي خاص به من حيث أنه هو الإله، والنّاسوتي النعت للعبد من حيث أنّه ماديّ ترابي.

الشّكر : " هو القيام بآداء حقوق الربوبية" ومنه التحدث بالنعم .[201]

---

[193] – (نديجين) شيخ عمر ، " الشيخ أحمد بمب امباكي وحياته الشعرية " بحث لنيل درجة دبلوم ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الأدبية ،القاهرة، 1996 م، ص : 55.

[194] – راجع : (لوح) الشيخ عبد الرحمان ، "الذكرى المئوية لنفي الشيخ الخديم ــ عليه رضوان الله الباقي القديم ــ جيسش جيتش"صص: 112 – 119 .

[195] – راجع: (نديجين) شيخ عمر ، المرجع نفسه، ص: 56.

[196] – (كما يذهب إليه الككي أيضا).

[197] – سورة الدخان، الآية: 29.

[198] – سورة الروم، الآية:7.

[199] – راجع:ص: 57 من هذا البحث .

[200] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) ــ طوبى ــ يوم السبت 11 /04 /2009 م (راجع : محاضرته تحت عنوان " الخدمة وإشكالية الدولة / رؤية منهجية " ــ مخطوط ــ في عهدته .

<u>الصّلاة على النبيρ</u>: جعلها الشيخ الخديم ψ من أهم الأغراض التي وقف عندها شعره العرفاني فالصلاة والتسليم على نـــبي الإسلام هي: " بمثابة نمذجية نورانية لبواتق المعاني السِّدرية التي تفيض من روح سيدنا محمد الخاتمρ المطلمسة بالحقيقة المحمدية الشريفة" [202]

(ب)- <u>خصائص الشعر الخديمي</u> : ومن تلك الخصائص على سبيل المثال لا الحصر :

1. التحدث بالنعم، وخاصة بعد عودته من الغيبة البحرية المباركة.
2. إلتزامه (بالتناص [203])" فينحو منحى إبستمولوجيا فريدا ، بحيث تتداخل في نصوصه الشعرية مفردات عالم " الملك والملكوت" في سبيكة عرفانية شديدة التماسك المعرفي" [204]
3. صدق التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى وصدق التعلّق بالحبيب الرسول ρ.
4. الروعة والإبداع.
5. السهل الممتنع.
6. الهيمنة العرفانية.
7. الفكر المركّز[205] .

فقد عبّر الشيخ الخديم τ عن تلك الأغراض في أبيات هي بمثابة خلاصة إنتاجه الأدبي فقال :

نويتُ دوام"الذّكر" و"الشّكر" خادما　　　لخير الورى نعـــم الحَسينُ المزيَّنُ[206]

وقال أيضا:

صلاة سِتَّهْ　　بمدح سِتَّهْ　　تاتيه بَتَّـــهْ　　مع ائتساء[207]

(ج)- <u>مكانة الشعر الخديمي:</u>

أما مكانة الشعر الخديمي ومنزلته ، فستكون لنا عودة في إبرازها في نهاية هذا الفصل.

---

[201] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) ــ طوبى ــ يوم الأحد 2009/04/12 م .

[202] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) ــ طوبى ــ يوم الخميس 2009/04/16 م.

[203] – هو السير على وتيرة واحدة من حيث تداخل النصوص والموضوعات (منهج معروف في الدراسات الأدبية المعاصرة).راجع:صص: 105-107

[204] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) ــ طوبى ــ يوم الجمعة 2009/04/17 م .

[205] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ ــ طوبى ــ يوم السبت 2009/04/18 م.

[206] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح " ،مطبعة شرج عيسى انجك ، دكار ، السنغال ، ص: 9 .

[207] – (البكي) الشيخ أحمد بمب "، مواهب النافع في مدائح الشافع " ،ج 1 و 2، ط 1، ديوان سعادات المريدين في أمداح خير المرسلين ، ــ مخطوط ــ بمكتبة الشيخ الخديم ψ طوبى، السنغال، 1396 هـ ، ص:262.

الفصل الأول

البعد الإنطلوجي (الوجودي) والإبستمولوجي (المعرفي) والميتافيزيقي

المبحث الأول

البعد الإنطلوجي (الوجودي)

و"الخدمة" في بعدها الإنطلوجي هي كل توجه إنساني نحو الكون والحياة وفق ضوابط المنهج الإسلامي.

وسبب قيام الأكاديميين بتنظير " الخدمة" :ما هو إلاّ لتبيين معالم المجتمع الذي أرسى الشيــــخ ــ قدس الله أسراره ــ دعائم إنبنائه فظل ممثولا في دنيا التجسيد " العملي" دون التنفّس نحو المبدأ الأول والأخير ألا وهو الفكر المحض الذي بواسطته تخلد الفلسفات والرؤى الإصلاحية عبر العصور والأزمان .

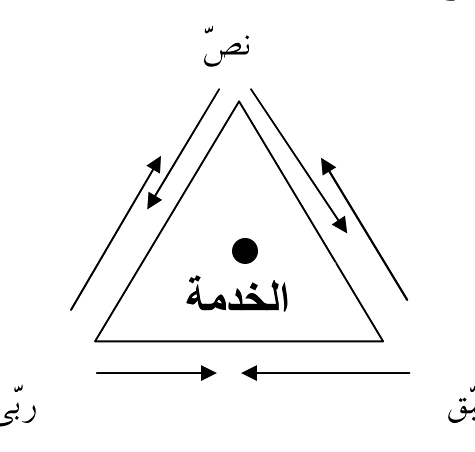
الفكر: إذا تدلى وغاب في أجداث الوجود المادي " الآلي" فقد روحه وذاتية تدفقه وصيرورته، ولكن ذلك ليس نهاية العالم لأن من المستطاع إرجاع عقارب التمثل الفكري المحسوس،والفكر المحض صعودا بواسطة " عملية التجريد" .

و" الخدمة" في صورتها الإجرائية هي: ما نصّ عليه الشيخ الخديم τ أو طبّقه أو ربّى على هداه أهل تربيته.

وهذه النصوص نظرية كانت أم تطبيقية فيجب إحالتها إلى أنساقها المعرفية ضمن منظومة " البنية" في أطر مفهوماتية تطابق الأصل وتثورها .

وهذا يستوجب بناء الجهاز المفهوماتي للفكر الخديمي، مع مراعاة الضوابط المنهجية لشروط المفهوم، كإطار تحديدي لمفردات المادة العلمية، المراد التعامل معها بشكل موضوعي وأكاديمي.

ويمكن بناء نموذج إرشادي للمنظومة الخديمية على هذا المنوال:



الشكل البياني رقم: (3)

نقاط الإرتكاز في الزوايا: تشير إلى الأنساق ، والسهام المتوازية : تشير إلى الجدلية بين الأنساق والسهمان المتقابلان: تشيران إلى الجدلية الإحالية بين الأنساق.

وأما النقطة الدائرية في قلب المثلث: فتشير إلى البنية؛ كمنظومة جدلية للأنساق.

وتعتمد " الخدمة" على منهجية [الإعتماد اللامتبادل] وهي: إعتماد الأدنى على الأعلى؛ كدعامة إنطلوجية، تتقاطع البعدان النّاسوتي واللاّهوتي وفق قانون التمثل والتجرد. وهو : طريقة بث الأعلى شفرته الإشارية عبر الآخر[208].

إذا استرشدنا بالنموذج الإرشادي السابق "للمنظومة الخديمية" يمكن أن نقرأ :

إذا تعارض (نصّ) و (طبّق) يجب أن نحيل على (نصّ) و (ربّى) درئا للتناقض المنهجي في بنية المنظومة.

تنبـــــيه:

(نصّ) و (ربّى) هما المؤشر، والخطاب هنا، خطاب المعاني؛ أي الذوات غير مشخّصة.

[208] – الككيّ ، (جوب) مصطفى ، " نظرية الخدمة " صص: 3 - 4 . (اقتباس)

أ ـــ الدّعـــــــــــــاء

(أ) – وقفة في آداب الدّعاء مع بيان طريقة دعائه τ:

ومن أسنى أحواله – أي الشيخ الخديمψ - الأدب العام مع ربّه عزّ وجلّ في كلّ شيء ومع رسول الله ε وإيثاره، ويظهر ذلك في آدابه في الدّعاء الذي هو أكثر أعماله بعد الذكر المفرد. ومفهومه: أن الدّعاء ذكر كله لأن المدعو مذكور بالضرورة فليس بينهما أكثر من أن الأول نعت مولوي خاص به من حيث أنه تبارك وتعالى ، والثاني النعت من العبد من حيث أنه مربوب فما ثم إلا ما هو ذكر له بالإلتزام.

وأدب الدّعاء : استنـــزال المدعو الكريم وتحميده والثناء عليه والتقرب إليه بامتثال أمره وتقديم ما قُدم أولى ، فالأولى رسول الله ε أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن حقه علينا الصلاة وجوبا في العمر ولو مرة وقربة على الدوام.

وكان τ يقدم الحمد والثناء ويثني بالصلاة عليه ـــ عليه السلامان ـــ ثم يأتي بالطلب بلوازمه من التضرع والخضوع[209].

والدّعاء: كما يذهب إليه (الككيّ) في منظومته المعرفية: يستخدم كإطار فلسفي يعطي الأولوية للوجود اللاهوتي على الناسوتي[210].

(ب) – فلسفة الدّعاء عند الشيخ الخديم τ :

هي الإعتراف بالعبودية والإقرار بالربوبية بإظهار الفقر والحاجة إلى الله ، والتشرف بمناجات المولى عزّ وجلّ من غير تسبّب بالدّعاء للعطاء خوف الوقوع في اهام المولى الكريم المعْطَاءِ ، وعلما بأن القلم جرى بما به القدر إلى يوم القيامة[211] . يقول τ :

منه الدّعاء لعبـــــــوديّة أي	**إظهار فقر وتناج يـــا أُخَيْ**
دون تسبّبك للعــطــــاء	**خوف اتّهام ربّك المِعــطاء**
لأنّه يفعل مـــــا يـــريــد	**دون الّذي يختاره المـــــريد**
وهْوَ الّذي مُخَّ العبادة دُعي	**لكونه عظيم قدر ذَاكَ عِ[212]**

[209] – (البكي) الشيخ محمد البشير، المرجع نفسه، ص: 144.

[210] – أنظر: (أغراض الشعر الخديمي ، صص:71-73).

[211] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الأربعاء 2009/05/20 م.

[212] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، مسالك الجنان ..." ، رقم : 1314 – 1317 ، ص: 193 .

كان الدّعاء من أوفر الأغراض الشعرية نصيبا من جملة قصائد الشيخ، ويأتي هذا مواكبا لمنهجه الإيماني الروحي؛ إذا كان ـــ رضوان الله عليه ـــ لا يقوم بشئ إلا بإذن من ربه ومخدومه ـــ عليه السلام ـــ ومن ثم استغلّ تلك الفرصة التجاوبية لصلاح أحواله وأحوال المسلمين أجمعين[213].

وفيما يلي شرح ما جاء في قصيدته الدّعائية " يا الله بالمصطفى الصّنديد ياالله"

(ج) – المناسبة التاريخية لقصيدة " ياالله بالمصطفى الصّنديد يا الله" [214]:

وهذا النص التالي يوضح لنا فيه الشيخ محمد البشير المناسبة التاريخية لهذه القصيدة فيقول: "وهاك نظما في أول سن التكليف مما عبر بقلمه عن وجدانه وذوقه من الانجذاب بقصيدته: "ياالله بالمصطفى الصّنديد ياالله" من أول عشرين إلى ثلاثين ثم نظمها من أول السلوك اللدني ليمر على الآثار قال تعالى :[أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها[215]].

من نظمه " ملين الصدور[216]"ثم " مسالك الجنان "[217] بعد ثم توسلات ومدح رسول الله ع من عمره الثلاثين وزيادة قليلة ، بعد وفاة الشيخ الوالد إلى قرب الأربعين، افتتحها بـــ" مسالك الجنان" واختتمها بتائيته في وصف القوم وذكر مناقبهم ووصف طريقتهم وسرد مزاياهم، وفي العام التاسع والثلاثين أو الثامن والثلاثين، تجرد لـــ " خدمة" الرسول ع وعرض عن كل انتساب إلى غيره – عليه الصلاة والسلام- بالصلاة والمدح."[218]

(د) – نظام القصيدة وترتيبها البنائي:

رتّب هذه القصيدة من تجديد الطلب ودوام الإعتكاف والعكوف بالباب وصدق التوجه وإفراد الهمة[219].

ألم تره في أول بدايته يقول في (يا الله بالمصطفى)... أنها أول الإنجذاب بعد سرد من توسل بهم إلى الله من أسمائه واسم نبيه خاتم النبيين وإمام المرسلين ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وسرد أسماء الأنبياء وأئمة مذاهب الفروع الإسلامية بعد الملائكة المقربين، ثم الأولياء الصالحين تفصيلا وإجمالا.

---

[213]– (نيجين) شيخ عمر ، المرجع نفسه ، ص: 62.

[214]– (البكي) الشيخ أحمد بمب، " ياالله بالمصطفى الصنديد ياالله " – مخطوط – في مكتبة الشيخ الخديم- رضي الله عنه – طوبى، السنغال.

[215]– سورة الحج ، الأية :46 .

[216]– راجع: الإحالة رقم: 35، ص: 21 من هذا البحث.

[217] - راجع الإحالة رقم 36، ص:21 من هذا البحث.

[218]– (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه ، صص: 115-116.

[219]– المرجع السابق، ص: 144.

فتراه في هذه القصيدة يقدم الإستغفار، ثم طلب كفاية القطاع عنه، دون الوصول فصّل فيها وأجمل . أليست هذه المنظومة تمهيدا لما سيحظى به من الكمالات والتحصين220؟

(هـــ)- شرح قصيدة " يا الله بالمصطفى الصّنديد يا الله" :

1 ــــ توسّل بأسمائه الحسنى وخصّ بالذكر اسم الجلالة ، ثم توسّل بالأنبياء والمرسلين ، وبالملائكة الكرام وخصّ بالذكر سادهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم توسّل بالصحابة والأولياء والعلماء العاملين وخصّ من الصحابة بالذكر الخلفاء الراشدين ، ومن العلماء أئمة المذاهب الفقهية السنية ، ثم توسّل بالمخلوقات المشرّفة عند الله باللّوح والقلم والعرش والكرسي ، ثم توسّل بالكتب المنزلة وخصّ منها بالذكر الكتب المشهورة القرآن الكريم والتّوراة والزّبور، وختم التوسّلات بالصلاة والتسليم على النبي ــــ عليه السلام ــــ.

2 ــــ ثم شرع في الدّعاء في طلب المرغوب والمحبوب ودفع المكروب والمخوف ، فأجمله ثم فصّله ، ثم ختمه بطلب النجاة والفوز عند الموت والقبر وطلب النجاة في الآخرة لنفسه ولوالدته المرحومة ولجميع المسلمين .

من مطلع القصيدة الذي يقول فيه τ :

يا الله بالمصطفى الصّنديد يا الله   وبخليلك إبـــراهيـــم يــــــا الله

إلى أن قال τ :

وأسبلنّ علينا ربّ عافيــــــة   وهب لنا القصد في الدّارين يا الله

انظر كيف يوجِد همومه ويصحّح نيّته على العبادة بالصلاة والسلام على النبي ε كما أمر به فإنه لم يترك شيئا مما يتوسّل به إلى الله من كتبه ورسله وملائكته إثباتا للأسباب ، معرفة منه وجريا على مقتضى حكمة الباري وحمله الكلّ على سبيل المرضية عند الله تعالى تخليا عن نفسه وتحليا بكمالات ربّه ... ثم بعد هذا يفصل كما هو المختار في آداب الدّعاء عند العلماء كما في (زروق) فإن أول ما طلب العافية ، وهي أول المطالب [221].

وقوله τ :

وافتح لنا كلّ باب كنت فاتحه   للصّالحين من خيرات يا الله

---

[220]- المرجع السابق، ص: 131.

[221]- المرجع السابق ، صص: 131-132.

طلب من ربّه تعالى أن يأخذ بيده وييسره لليسرى فإنه لا يجدي العبد كسبه[222] .

وقوله τ:

واسلك بنا نهج رشد واكفنا زللا   واطرد لنا الجنّ والشّيطان يا الله

طلب من الله أن يرشده لأن ذلك ملاك أمره الرشد وفاتحته قال تعالى: {ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل[223]} وحين استعاذ بربّه من العوائق والمفسدين بعد الإرشاد طلب منه تعالى أن يكمل له ما نحى إليه وما نوى من القيام بأوامره وفوض الأمر إليه والاختيار فقال :

(وهب لنا كلّما نختار يا الله) فالله تعالى هو المختار أزلا وأبدا إلا أنه نسب لنفسه اختيارا في المصطفى من خلقه وإضافته إليه ليست بإضافة مخلوق لخالقه فقط ! . بل إضافة تشريف أراده بحكمته وفضله . فهذا الاختيار هو الذي ينافس في الاختصاص به والفوز أهل الله وخاصته وهو جار في الأقوال والأعمال والأحوال والأمكنة والملائكة والإنس والجنّ ، وبه تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممن خلق تفضيلا[224] .

والنفس المؤمنة ليست شرّا بذاتها بل هيّنة ليّنة مع قابلية الصلاح ، وإنما يطرأ لها الشرّ من الجهل والمعاصي والاسترسال في أسبابها فلذلك قال τ :

ورض لنا كلّ ذي صعب وذي حرَن   ويسّرن كلّ ذي التَعسير يا الله[225]

ثم يستكفيه القطاع والمفسدين فقال :

ودمّرن كلّ أعداء تُضـــــرّ بنــــا   قبل الوصول لـــنا يا الله يـــا الله

تحصن بالدّعاء والنداء المكرّر ليسبق السريع بنصره على الأعداء في "ودمّرن" وهي عبارة عن استئصال شافتهم ليأمن جانبهم فيتفرّغ لمن انتصب له بعد أن قال :

طوّل لّنا عمرنا صحّح لنا بدنا   وهب لنا الرّشد والتوفيق يا الله

عطف على "ورض لنا كلّ ذي صعب" ، لأنه لا يكمل الأمن غالبا خصوصا لمن هو مثله في الحرص على الاستكثار من الخير إلا من طال عمره في الطاعة فيكثر عمله ويطوله قيامه بالعبودية في دار التكليف .[226]

---

[222]- المرجع السابق، ص: 135

[223]- المرجع السابق، ص: 136.

[224]- المرجع السابق، ص: 137.

[225]- المرجع السابق، ص: 138.

[226]- المرجع السابق ، صص: 139-140.

ثم أخذ يعتصم بربّه من مصائب الدنيا وبلاياها ما دام حيّا لكونه عرضة للنوائب إرشادا من الله تعالى له ليرتّب عليه الإجابة فضلا منه وحكمة فقال:

وكن لّنا عاصما من كلّ مهلكة ونجّنا من بلايا الدّهر يا الله[227]

ثم فصّل بعد هذا واستطرد أشياء كثيرة مما يصاب به الإنسان فقال :

وآفة عاهة مَّعْ غصّة مّـــــحن زلزلـــة شدّة والفقر يـــا الله

إلى قوله :

ومن قبيحة دنيـــــًا ثم آخـــرة ومن فضوحهما يا الله يا الله

سرد هذه الأشياء سردا يستعيذ بالله منها إقرارا بالعجز وإمعانا في الفرار من سوء القضاء والقدر إلى الله ورحمته وصدق الالتجاء إليه وخوفا من مكره تعالى مع التعبّد بالاتباع في ذكر المخلوقات [228]. ولما فصّل هذا التفصيل شرع يستأنف الافتقار إلى ربّه ويقيم شعار التعظيم بالقلم عن القلب فقال :

يا من على كلّ شيء قادر وعلى العرش العظيم استوى بالقهر يا الله

إني سألتك قلبا خاشعا مُّتـــــــوا ضعا وعلما كثير النّفـــع يـــا الله

وتوبة قبلت مع مكنـــة رفـــعت مع زوجة صلـــحت بالـــدّين يا الله

(و) – خلاصة القول في هذه القصيدة:

إن الشيخ الخديم ψ من توفيقاته في الدعاء أن الله – تبارك وتعالى – أرشده إلى الإلحاح الذي هو شعار الكمل من الأنبياء والأولياء؛ وهو حال العبد القائم بأوصافه لما فيه من مغايرة أوصاف الربّ.

فإن الشيخ الخديم ψ لا ينفكّ عنه مع الطلب حال بدايته وحال نهايته في حال استغاثاته في المجاهدة وحال تحدثه بالنعم بعد الوصول والتمكين.

---

[227]– المرجع السابق ، صص: 140-141.

[228]– المرجع السابق ، صص: 141- 142.

ب ــــ الشُّـــــكر

أ) – الشّكر : كما في " الرسالة " : هو الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع؛ قال الغزالي : هو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أفعال القلب ، وذلك لأن الاعتراف إقرار بالقلب والخضوع مظهر اللسان . وقيل : إنّ الشّكر هو اعتكاف القلب على بساط الشهود وبإدامته حفظ الحرمة. وقال حمدون القصار ، شيخ الملامية (بنيسابور) : شكر النعمة أن ترى نفسك في الشّكر طفيليا ، وقال الجنيد : أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة ، قال الغزالي : هؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أقوالهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون عن حالتهم الراهنة اشتغالا بما يهمهم إلخ ونحوه في رسالة القشيري ؛ وما قاله الغزالي ظاهر في مناجاة شيخنا τ [229].

لعلّ هذا ما يعبّر عنه الشيخ الخديم τ حيث يقول في حقيقة الشّكر :

حقيقة الشّكر لدى من علما   شهودنا من ذي الجلال النّعمـــا

وعمل بها لسانا وجَنــــانْ   في كلّ ما يرضى وركنا يستبانْ

منها التّواضع ومنه فـــــادر   تكبّر على الغني ذي الكِـــبر[230]

إلاّ أنّه τ يرى أنّه لا بدّ من شكر الواسطة إلى جانب شكر المنعم المتفرد بالإنعام حقيقة ليجمع بين الشّكر الشرعي والشّكر الحقيقي، وهو ما ينجيه من الكفر والكفران ،فيقولτ:

فحّقه في نعمة أن تشهدا   منّته فيها تـــعالى مرشـــــدا

مع انفراده بها وأن ترى   كلّ الوسائط بقهر ذي الورى

مقهورة وشكرُهْ جلّ معًا   واسطة كانت لكي ما تجمعـــا

بين الحقيقة وبين الشّـــرع   لأنه أمرنا بالجــــــمـــــــــع

إن لم تجئْ بذا فكفرا كانا   إن تعتقـــد ذالك أو كفرانا[231]

---

[229]– (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه صص: 293-294.

[230]– (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مسالك الجنان ... " ، رقم: 1362-1364، ص :199.

[231]– المرجع السابق ، رقم : 1195-1199 صص: 177- 179.

ب) – وقفة في بيان مقام شكره τ :

قال الغزالي في الإحياء : اعلم أنّ الشّكر من جُملة مقامات السالكين ، وهو ينتظم من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل فيورث الحال ، والحال يورث العمل.

فأما العلم فمعرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه ، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان إلخ .

ثم قال ما معناه: إنّ العلم بذلك في حقّ الله تعالى لا يتم إلا بأن يعرف أنّ كلّها النعمة من الله تعالى وهو المنعم، والوسائط مسخرون من جهته. وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس... ثم قال : والحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع ، وهو أيضا في نفسه شكر ؛ إذا كان فرحك بالمنعم لا بالنعمة والإنعام. ثم قال : الأصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم ، وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، أما القلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق ، أما باللسان فاظهار الشّكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما الجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته. فبهذه التقديرات تقف على كنه قيام شيخنا τ بوجوه الشكر على الكمال[232] .

جعل الشيخ الثناء على الله سبحانه غرضا أساسيا من أغراضه الشعرية ؛ فشكره جلّ شأنه وأثنى عليه في مواضع مختلفة ، نظما ونثرا ؛ وذلك لما يسر له سبل أداء رسالته على أحسن الوجه، وما منَّ به عليه من نعم عديدة[233] . وعلى ذلك يقول الشيخ الخديم τ :

إلى الله حمدي معك يا من له الثنا أقول وقصدي الشّكر في الدور أزمنا[234]

جـــ) – وفيما يلي بيان في معرض ثنائه وشكره على الله تعالى في قصيدته:

"مواهب النافع في مدائح الشافع "[235] :

المقدمة: من مطلع القصيدة الذي يقول فيه τ :

لبسم الإله ينمو لهائي بلا مناه ولا انتهاء

[232]– (البكي) الشيخ محمد البشير، المرجع نفسه، صص: 277-278.

[233]– (نديجين) شيخ عمر، المرجع نفسه ، ص56 .

[234]– (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مدادي وأقلامي "، ص:18.

[235]– (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مواهب النافع في مدائح الشافع " – مخطوط – في مكتبة الشيخ الخديم– رضي الله عنه – طوبى، السنغال. (وهي مؤلفة من مائة وستة وستين بيتا (166) .والغرض الأساسي الذي تناوله فيها هو المدح والشكر ، وقد افتتحها بالبسملة والحمد والشكر، ثم اختتمها بالدعاء).

ومعنى البيت أن آلاء الله ونعمه التي أنعم بها عليه تكرما وتفضلا تنموا وتتزايد بصورة لا متناهية مع استقامته على التقوى ظاهرا وباطنا ، وهو يعصم المنعَم من المكر والاستدراج اللذين تسير بهما النعمة نقمة على صاحبها، وهذا كله بفضله تعالى وجوده وكرمه ، هذا غاية الشّكر والإعتراف بالجميل . هذا باعتبار الكلام خبرا ، ويحتمل أن يكون المعنى إنشاء بصيغة الخبر كما هو مألوف في أسلوبه τ . ثم يمضي فيقول :

حمدا لربّ خيرِ مربٍّ قد رمَ قلبي بالاقتداء

له شكوري بلا كفور وَهْوَ نصيري منه فدائي

إلى قوله τ :

يا من شفاني يا من حماني عمّن جفاني بمحو دائي

وفي هذه الأبيات من الشّكر والثناء والالتجاء إلى الله ما لا يوصف. ثم يشرع في الدّعاء والتضرع إلى الله بقوله τ :

أسبل ستوري أصلح أموري كثّر خيوري بلا كِـــــداء

إلى قوله τ :

بذي الحروب جالي الكروب نور الأريب ماحي الرّياء

ذاك المنـــير ذاك البشـــير له أشـــير بذا الثّنـــاء

فيلتفت من هذا البيت بلطف إلى غرض المدح (مدح يتضمن الشّكر) فيوجّه الخطاب إلى الممدوح فيقول τ :

له خطابي بلا عتاب ولا حجاب ولا عناء

خير البرايا يا ذا المزايا يا ذا العطايا صفّ بنائي

فيذكر فرحه وسروره وابتهاجه لما خصّه الله تبارك وتعالى ببركة وسيلته إليه فيمدحه، فيعدّد آلاءه ويذكر جميله شكرا وامتنانا، هكذا إلى قوله في أواخر القصيدة:[236]

تنحو لغيري أعداء ضير بأُذن خير ماحي اجتراء

فوضت أمري لمبقي عمري مع أهل بدر بلا امتراء

---

[236]- أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم السبت 2009/05/09 م .

وقد خلّل هذه الأمداح بذكر أفكار رئيسية يمكن أن نوجزها فيما يلي :

1 – سروره وابتهاجه بتعلّقه بأهداب سنته ε وتوسله به للوصول إلى الله وابتغاء مرضاته ، ويعقد عزمه على " خدمته " بالمدح والصلاة عليه طوال حياته وذلك من قولهτ :

أنت سروري بلا غـــرور صفّ بروري نوّر فنائي

إلى قوله τ :

زحزحت عابي حُطتّ جنابي بلا كـــئاب ولا هبـــاء

2 – ذكر ما أنعم الله به عليه ببركتهε من كمال الإستقامة وحسن السيرة وصفاء القلب ، وقيادة من شاء قيادته من عباده السائرين إليه ، ثم شكره ε على ذلك ، وذكر جملة وافية من شمائله وأخلاقه ε وذلك من قوله τ :

يا خير ماح محا جناحي مع المزاح وقت الصّباء

إلى قوله τ :

له البرور له السّرور تلقاه حور بعد القضاء

3- ثم يجدّد إلتزامه بـــ "الخدمة" شكرا وامتنانا ، ولكنه يعبّر عن عجزه عن بلوغ ما يستحقه جنابه العالي من المدح والثناء ، فيهيب بجميع الخلق من أهل البّر والبحر ليعاضدوه على مدحه و " خدمته " ε فيذكر فضائله وآلائه ليبرهن على دعوته العامة ويبرّرها من قوله τ :[237]

أنت الكريم أنا الخديم دهرا أَ ديم فيك ثنائي

إلى قوله τ :

غيث أفادا من استفادا ليث أبادا عدى الدّهاء

4 – ثم يلتفت لذكر بعض مناقبه ومعجزاته ε بشكل موجز فيذيلُها بالإسراء والمعراج ، وذلك من قوله τ :

له مناقبْ له عجائبْ له غرائبْ بلا انتهاءِ

إلى قوله τ:

نال جلالا نال جمالا ممّن تعالى ربّ السّماء

ثم يذكر بعض آلائه ونعمه عليه ليجدّد شكره وامتنانه ، فيقول τ :

[237] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الأربعاء 2009/05/13 م .

أكرم بعال　حامي عيالي　راعي الرّجال　حصن النّساء

إلى قوله τ :

باني الدّيور　مع الخيور　باغي السّرور　للجلســـاء

ثم يجدّد إلتزامه بـــ " الخدمة" شكرا وامتنانا ، فيقول τ :

له امتداحي　بعد نجاحي　عند الصّباح　وفي المساء

صلاة ستّهْ　بمدح ستّهْ　تاتيه بتّهْ　مَعَ ائْتِساء

ثم يختتم المديح بالإشادة والتنويه على الصحابة الكرام البررة على وجه العموم، وعلى الخلفاء الراشدين وأهل بدر على وجه الخصوص، وذلك من قوله τ :

على العتيق　باب الطّريق　أخي الوثوق　كلّ رضاء

إلى قوله τ :

نعم الكماة　نعم الحماة　عدَى أماتوا　بلا اختفاء

ثم يختتم القصيدة كما افتتحها بالدّعاء والتضرع إلى الله عزّ وجلّ وذلك من قوله τ :[238]

إنّي أقول　ولا يميل　لي من يّصول　مع الجراء

يا ذا الجلال　يا متعالي　يا خير وال　أجب دعائي

(د)- وخلاصة القول في هذه القصيدة :

أنّ الشيخ τ يحمد الله ويشكره في هذه القصيدة على جلائل نعمه ودقائقه ويقرّ له بالربوبية والألوهية وعبوديته له عزّ وجلّ، ويشكره على الوسيلة العظمى التي دلّه عليها وهي المصطفى ε الذي وجد فيه غايته وضالته المنشودة .

فيظهر فرحه وابتهاجه وتعلّقه به ε والتزامه بـــ " خدمته " والإقتداء به والسير على هداه ، ثم يمدحه ويعدّد آلاءه ونعمه التي أفاضها الله عليه ببركته ε شكرا وامتنانا واعترافا بالجميل.

سوف نتعرض لهذه الرائعة في زاوية أخرى ، حين نتحدث عن **البعد الحضاري** تعميقا للنص وقراءة في مسكوتاته .

[238] – أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الاثنين 2009/05/18 م .

المبحث الثاني

البعد الإبستمولوجي (المعرفي)

و " الخدمة " بهذا النوال في بعدها الإبستمولوجي هي:

مجموعة المفاهيم والأطر التي قولب بها الشيخ – قدس الله أسراره - آراءه حول الدين الإسلامي بمعنييه :

الإنطلوجي والميتافيزيقي،

أو الثقافي والحضاري،

أو اللاّهوتي والنّاسوتي على حدّ تعبير الفلاسفة.

وهي نظرة كلية تنبجس من الفكر المحض وتتمحور حول التجسيد والتجريد صعودا وهبوطا بحيث لا يطغى أحد القطبين على الآخر في الطور الأول " للروح " في " الخدمة " دون الأخير الذي يتمثل في تحقق مدينة الإنسان الكامل أو (مجتمع مطلب الفوزين)[239] على وجه البسيطة – أي الأرض - تحقيقا لفلسفة الخلافة بمفهومها المعرفي الإسلامي [240].

---

[239] - راجع البعد الحضاري.

[240] - الككيّ ،(جوب) مصطفى، "نظرية الخدمة"، ص:3 . (اقتباس)

جـ ـــ الرثـــــــاء

(أ)- نبذة عن نظام القصيدة في الشعر الجاهلي وأغراضه: فالشعراء في الجاهلية كانوا يسيرون في قصائدهم على المنهج الآتي:

1- يبدأ الشاعر بذكر المرأة فيشبّب بها ويصف جمالها وفتنتها وحلها وترحالها وديارها وأطلالها.

2- ويصف فرسه أو ناقته وما يصادفه وهو في طريقه إلى المحبوبة، وقد يصف الليل وما يتجرعه في ظلامه من كؤوس العذاب...

3- ثم ينتقل إلى الغرض الأصلي بين مدح أو هجاء أو فخر إلى غير ذلك، فجأة ومن غير تمهيد.

4- وقد يختمها بأبيات من الحكمة والعظة الخالدة.

(ب)- أغراضه:

كانت أغراض الشعر الجاهلي تتجاوب والبيئة البدوية. فقد صوّر الشعر كل ما كان يدور في فلك حياتهم ، وصور الأغراض متى تستلزمها معيشتهم في الجاهلية.[241]

ومن ضمن الأغراض التي اهتم بها الشاعر الجاهلي اهتماما بالغا ما نحن بصدد معالجته في هذا الفصل وهي:الرثاء والغزل والمدح.

(ج)- الرّثـــــــــاء:

وهو التنويه بمناقب الميت والإشادة بمآثره وأياديه البيض على الناس ، وإظهار الحزن والأسى على فقده والتفجّع لرحيله واللّوعة على فراقه[242] .

---

[241] - مشاركون : (الأغاني) سليمان و(خفاجي) محمد و(جاد) حسن ،" الأدب العربي وتاريخه "، ج 1 ، ط 1 ، القاهرة ، 1374 هـــ / 1995 م ، صص : 133-134 .

[242] - المرجع السابق، ص: 135.

هكذا، بكوا الأطلال والديار الزائلة والآثار والحايلة، وسبكوا فوقها العبرات وصمدوا الزفرات وتنهدوا الآهات لأنها كانت ذات يوم مباءة للمحبوبة ، طالما أشرقت في ساحتها شمسا ساطعة وقمرا منيرا ، فكانوا يطوفون حولها ويغنون بها كأنها المحراب المقدّس ، ويحادثونها كأنما تصغى وتعقل[243] .

ومن الملاحظ أن العقلية العربية قد تطوّرت وانفتحت بالفتوحات وامتداد رقعة الدولة الإسلامية، فأصبح الشاعر يرثي أرباب الدولة وأصحاب الإمارات.

ومن ثَمّ اتسعت جذور تلك الغرض وأصبحت تأخذ طابع " المدح " وذلك بذكر مناقب المرثي وأعماله البطولية وغيرها من المميّزات. ولم يقف هذا الغرض في الأشخاص فحسب بل تعداهم وتجاوزهم إلى رثاء الدول والمدن، كما فعل أحمد شوقي في " الأدب العربي المعاصر".

وفي الشعر العربي السنغالي يبدوا أن [بعض [244]] شعراء البلاد ما رثوا إلا صديقا أوقريبا أو شيخ وسيلة ، ولم يكن رثاؤهم مفتعلا ولا من شعر المناسبات ، وإنما ينبعث من عاطفة صادقة، وقد تمثل في رثائهم كلما يخطر ببال الراثي من الحكم يتأسى بها الشاعر أو يعظ بها غيره، ثم يقدّم العزاء تارة لأهل البيت أو يحاول الوقوف على سرّ الحياة الأخرى وأن يستشفّ ما بعد الموت[245].

والقمين بالإشارة هنا في هذا المقام أنّ الشيخ الخديم τ ــــ من جملة إبداعاته الأدبية ــــ نهج منهجا يشار إليه بالبنان حيث نراه يدعو إلى " مبدإ المساواة " حيث رثى السادة الصوفية الذين قد لا يمتون إليه بصلة القرابة ، لا من حسب ولامن نسب ،ولكن بقرابة العقيدة والدّين والقيم؛ أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في كل بقعة ــــ وأرض الله واسعة ــــ أولئك السادة الذين جاهدوا في تحقيق معنى " الخلافة " التي من أجلها خلق الثقلين من الجنّ

[243] – المرجع السابق، 131.

[244]– ما بين القوسين من عندي.

[245]– (كاه) محمد انجما ، المرجع نفسه ، ص:40.

والإنس، فلازموا العبادة مخلصين الدّين لله عزّ جلّ فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وواظبوا أيضا على طاعة أوامره واجتناب نواهيه ففازوا برضوان عليٍّ دعاهم للعلوّات.

فالبكاء كما يقول (الككيّ) هو : بكاء القيم على الذين كانوا يمارسونها، فكأنّ العبد الخديمτ يبكي نيابة عن القيم على من كانوا يقدّسونها وينسجون على منوالها كما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: { فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [246] } بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء[247] .

(د)- المناسبة التاريخية لقصيدة "حقّ البكاء":

وهذا النص التالي يوضح لنا فيه الشيخ محمد البشيرالبكي المناسبة التاريخية لهذه القصيدة فيقول: "وهي التائية التي كررت ذكرها في تتبع سير [الشيخ الخديمτ (#)]...، ليطلع على مقامه هل هو ممن يحبّ القوم ولما يلحق بهم فيرحم بالمعية ، وهو مقام نبيه، أم من المجاهدين المنقطعين على أثر الفرسان المشمرين للإلتحاق بهم أينما كانوا؟

فكتب إليه [القاضي مجخت كل(#)] هذا البيت :

حقّ البكاء على سادات أموات تبكي الأراضي عليهم كالسماوات.

ثم لما كان [مجخت(#)] فهم كثيرا من هذا المنحى [الصوفي(#)] جعل يستخبر[الشيخ (#)]τ فرماه بهذا البيت مفردا . وقد صادف شرره وقصا في صدره كاد يشتعل بنفسه ، فأطنب τ في وصف القوم الذين هو معهم معية كاملة قلبا وقالبا. وبعبارة أخرى ، يصف نفسه وقومه وذوي تربيته يومئذ في (طوبى Touba [248]) عام أيسش 1311هــ / 1893ــ 1894م) بعد التعلّق بالرسول المصطفى ρ فقال في أول قصيدته :

---

[246]- سورة الدخان، الآية: 29.

[247]- مشاركان : (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمان بن أبي و (المحلى) جلال الدين محمد بن أحمد ، " تفسير الجلالين " ، دار الكتب الدينية ، بيروت ، ص:418 .

(#)- ما بين الأقواس من عندي.

[248] – هي عاصمة" المريدية "، أسسها الشيخ أحمد بمب ــ رضي الله عنه ــ عام 1306 هــ / 1888 م ، وتقع في منطقة محايدة بين كل من (كجور cayor) و (بول baol) و (سين sine) و (سالوم saloum) و (جلف djolof) . وكانت عزيزة ومحبوبة إلى الشيخ الخديم ــ رضي الله عنه ــ ، وورد ذكرها في كثير من قصائده . وتعتبر ثانية كبرى المدن السنغالية من حيث المساحة وعدد السكان والقوة الإقتصادية والسياحية ، وتستقبل سنويا ملايين من الزوار المتوافدين للإحتفال السنوي بذكرى الغيبة البحرية المباركة للشيخ الخديم τ .

أبكي عليهم وأرجو في البكاء غدا   رضوان من فيه غابوا بالحلاوات

بل إنما ذكر البكاء مجاراة للكاتب في مضمار لفظه، وإنما كتب ما كتب عن وحي شعور انبعث عن أعماق ضمير يسطع عليه نور شعشعاني من مشكاة نور النبوة على صاحبها الصلاة والسلام .

أخبرني [249] أحد كتابه وهو (حمزة جخت Hamzatou DIAKHATE) أنه أخبره أنّ في هذا الشهر؛ ـــ شهر رمضان ـــ الذي نظم فيه القصيدة..." [250].

(هـ) – وفيما يلي بيان في شرح ما جاء في قصيدته "حق البكاء":

يمكن تقسيم القصيدة "حقّ البكاء" [251] إلى أربعة أقسام :

القسم الأول:قوله τ في مطلع القصيدة:

حُقَّ البكاءُ على سادات أمــوات	**تبكي الأراضي عليهمْ كالسماوات**
أبكي عليهمْ وأرجو في البكاء غدا	**رضوانَ مَنْ فيه غابوا بالحــلاوات**
يَا لَهْفَ نفسي على فقد الأكابر مَنْ	**غابوا لربٍّ دعاهــم للعُلــــوّات**
تبكي اللّيالي عليهم والشّهور معًــا	**مثل العشيّ بِوَجْــدٍ والغُــدّوات**
كانوا عبادا بطاعـــــات لربهـــــمُ	**وكان جَلّ لــهم ربّا بِمــــنّات**
كانوا يَعدّون ترك الورد معْ شِبَــــعٍ	**منَ الحلال منَ أسباب المصيبــات**
كانوا إذا اللّيل أرخـــى السّترذا حلكٍ	**قاموا سِراعــا لإحيآء الدّجنــات**
باعوا فضولا بذكر الله خالقهـــــــمْ	**فالنّوم في اللّيل باعــوا بالمناجات**
تجفوا المضاجع في ليـــل جنوبهــــم	**ناسين ســـلمى وليلى بالبشارات**
فحيثما برزتْ ليلـــى ببهجتـــــــها	**عنها تولَّوْا إلى المولى بطاعــات**
ينسون ليلى وسُعدى في قيامهــــــمُ	**مستانســـين بأذكار وآيـــــات**
حديثهُمْ ذكر مُــغْنٍ نّافع صمــــد	**لا ذكر هند ولُبــنى في المــقالات**

حيث تظهر من خلالها "مبدأ المساواة " ، فنرى الشيخ الخديم τ هنا يتحسّر على فقد الأكابر الذين تربطهم جميعا علاقة روحية وأخوية إسلامية لله عز وجلّ، فبيّن أن سبيلهم كلهم وقصدهم جميعا وجه الله تعالى لا غيره، وأنّه هو سبيل الحقّ والهداية.

---

[249] – الشيخ محمد البشير البكي صاحب " منن الباقي القديم ..." .

[250] – انظر: (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه، صص : 157 -161 .

[251] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " حق البكاء " ـــ مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم- رضي الله عنه – طوبى، السنغال .

وأظهر أيضا أنه τ لم يكن في البكاء عليهم وحيدا ، بل بكى معه الليالي والشهور والغدوّات والعشيّ، وفيه ما لا يخفى من روعة الإستعارة، حيث صوّرهم كأحياء لهم أحاسيس وشعور وعواطف ، كما بكى عليهم السماء والأرض .

وذكر أوصافهم، وبيّن أنهم أمضوا حياتهم كلها طاعة لربهم فأخلصوا العبودية له ، فتكرّم عليهم بفضله ومنّته، كما ذكر أيضا مناقبهم التي منها دوام الورد والجوع، والمداومة على قيام اللّيل والذّكر والدّعاء. ووصفهم أيضا بدوام الصمت .

وجميع هذه الأوصاف هي بالجملة أركان التصوف المتمثلة في الورد والجوع والسهر ودوام الذكر والصمت مدحهم بها لما تمثل فيهم مُثل الأكابر الصوفية من لدن حبيبهم الأكرم سيدنا محمد ρ مرورا بالصحابة والتابعين ــ عليهم رضوان الله العظيم ــ .

القسم الثاني: من قوله τ:

قوم بأسلحة أعداءهم قهـــــروا   حتىّ علوا بالمزايا والكرامات

أركان بيت جميع القوم أربــــعة   بها يؤسّس بنيان الــولايات

صمت وجوع طويل بعده ســـهر   وعزلة عن شيوخ بالإشارات

إلى قوله τ:

طريقهم عشْرةً جاءت لوازمهــا   لا بدّ منها لأربـــــــاب الإرادات

فمقصد وَهْوَ ما يُفضي إلى سفــر   منها دليل كشيخ ذي فتوحــــات

والزّاد وَهْوَ التّقى منها سلاحهــم   وَهْوَ الوضوء الّذي يَنفي النّجاسات

منها السّراج بذكر الله جلّ علا   منها المطايـــــا همّات عليّـــات

منها العكاز بعجز والحزام لـــدى   أهل الطريقــــــة حزم بالحقيقات

ومن لّوازمهـــا منهاجها أبـــدا   وَهْيَ الشّريعــــة في بدء وغايات

ورفقة وَهْيَ إخوان لّهم همـــــمٌ   معَ الوفـــاء بصدق في الأخـــوّات

وفي هذه الفقرة يبيّن عافية أحمد أنها التفات إلى دراسة الأركان بعد بيان الأوصاف حيث ذكر أركان التصوف والمجاهدة والتي هي : الصمت والجوع الطويل[252] والسهر والعزلة.

كما عرّف الإدارة ، وذكر أصول السير إلى الله سبحانه وتعالى كما ذكر مقامات اليقين(على خلاف فيها)[253]. كما ذكر أيضا لوازم السير العشرة التي لا بد للمريد السالك أن يلتزم بها ، حيث شبّه السالك إلى الله سبحانه وتعالى بالمسافر الذي يحتاج إلى زاد وراحلة ، وسراج وسلاح، وعكاز ، وحزام ، ورفقة ، ودليل وطريق آمن وغاية يسافر من أجلها.

القسم الثالث: من قوله τ:

والكلّ مِنْ جملة السّادات ذو رتب ... يكفي المريد مَريدا ذا غَوايات

كلّ من القوم شيخ عـــالم ورع ... منهم مُربّ بأذكار وحـــالات

منهم مُرق بحال وحدهـــــا أبدا ... منهم مّربّ مُرق بالإشـــارات

كل خبير بأدواء القلوب معــــا ... يكفي المريدين أنواع الشّقاوات

إلى قوله τ:

أولئك القوم لا يَشـــقى جليسهمُ ... إذ يكسبون المريدين السّــعادات

طوبى لعبد مُـــريد صادق لّهـــمُ ... "بخدمة " أو بحبّ أو هديّـــــات

ذكر أوصاف المشائخ الواصلين، وبيّن طرق تربيتهم للمريدين، فمنهم المربي ، ومنهم المرقي، ومنهم من يجمع بين التربية والترقية.

واختتم هذه الفقرة بذكر صفات المريد الصادق من المحبة و" الخدمة" والإهداء.

القسم الرابع: من قوله τ:

نالوا بقفو الرّسول المصطفى رتبا ... صلّى عليه الّذي يعطي المزيّات

نالوا بقفو الّذي جاء الأمين بـــه ... عليه منه صلاتي كلّ ساعـــات

من المناقب مـــا لا يحتوي قلـــم ... ولا لسان بخطّ أو حكايـــات

---

[252] – أي الجوع المتوسط ، (كما يذهب إليه الككيّ أيضا) .

[253] – (كما يذهب إليه الككيّ أيضا) .

إلى قوله τ:

العلم سيمتهم والحلم ديدنهم　　دون الدّعاوي وإنكار المقامات

آهٍ على فقد سادات طريقتهم　　طريقة المصطفى خير البريّـــات

إلى قوله τ في آخر القصيدة:

على الصحابة والسّادات كلّهم　　رضوان ربّ الأراضي والسّماوات

ذكر مميزات هؤلاء السادة الصوفية ، كما عدّد صفاتهم الجلية وبيّن أيضا مناقبهم من التبحّر في علوم الشريعة والحقيقة وموازنة أفعالهم بالكتاب والسنة ولزوم التقوى ، وهضم النفس وإنكار الذات إلى غير ذلك من الأوصاف الفاضلة [254].

(و) – وخلاصة القول في هذه القصيدة :

يرثي الشيخ الخديم τ على الصحابة وأكابر الصوفية ـــ رضي الله عنهم ـــ الذين وُصفوا بالسادة الأموات، في حين كان سلوكه τ وسلوك أتباعه من المريدين الصادقين يمثل حياة أولئك الأموات أصدق تمثيل، فيصح أن تسمى هذه التائية بتائية السلوك .

يقول الشيخ محمد البشير:"... فأطنب τ في وصف القوم الذين هومعهم معية كاملة قلبا وقالبا. وبعبارة أخرى ، يصف نفسه وقومه وذوي تربيته يومئذ في (طوبى TOUBA) عام أيسش 1311 هـــ بعد التعلق بالرسول المصطفى ρ ".[255]

يقول العارف بالله الشيخ أحمد الصغير امباي (AhMED SAKHER MBAYE) وهو من أوائل من تربوا على يديّ الشيخ الخديم τ قبل الرحلة البحرية قال :

بأن "حق البكاء " هوالسراج المنير والدّرة العظمى لمن أراد الولوج طريق القوم[256].

---

[254] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاءات مع عافية أحمد انيانغ ـــ طوبى ـــ يومي السبت و الاثنين 25 و27 /2009/04 م .

[255] – (البكي) الشيخ محمد البشير ، المرجع نفسه ، ص 160.

[256] – سبب كنيته بـــ (الصغير) هو أن الشيخ أحمد امباي لما كان في حضن الشيخ الخديم τ أيام التربية كان تحت رئيس له في الخدمة يسمى الشيخ أحمد امباي ، وكان يكبر مرؤوسه فلبروز شخصية الأصغر سنّا كني الرئيس بالكبيروالمرؤوس بالصغير .وذلك أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) ـــ طوبى ـــ يوم الاثنين 2009/04/27 م.

جـ – الغـــــــزل

لقد سبق أن أشرنا في مقدمة هذا الباب إلى أنّ الشعراء في العصر الجاهلي كانوا يبدأون قصائدهم بمقدمات غزلية ، حيث تبعهم في ذلك الشعراء المسلمون بعد مجيء الإسلام، فمارسوا تلك العادة الموروثة و لم يتخلوا عنها، فكان البعض منهم يشبب بصدق التجربة، وآخرون ذهبوا يتغزلون بمجرد التبعية والتقليد.

فكانت ظاهرة التقليد والصناعة والعفوية والشعورية الصادقة هي الغالبة في صدر الإسلام وشعراء بني أمية ، حيث وجد الغزل في المجتمع الأموي مجالا رحبا بعد الإنتهاء من غمرات الأحداث الداخلية وموجات الفتح، **والغزل هو وليد الدعة والهناءة وظفر الإنسان بالمناخ النديّ الملائم،** بينما لم يجد الغزل ذلك المناخ في صدر الإسلام مع الانشغال بتعبئة العرب حول الإيمان الجديد، ومصارعة الكافرين من عبدة الأوثان، ومع التعاليم الجديدة التي صانت المرأة من العبث وحمتها من أن يتناول اللاهّون سيرتها بالمبتذل من الحديث والفاضح من الأخبار.[257]

وهكذا تطوّر هذا الفنّ وتوارثته الأجيال جيلا عن جيل حتى وصل إلينا وذلك بواسطة الشعر العربي، فكان الغزل في الشعر العربي السنغالي غزلا عذريا عفيفا تقليديا ـــ حسب علمي ـــ بجانب الغرض الأصلي بين مدح أو فخر إلى غير ذلك ـــ دون أن يكون هذا الغزل فنّا قائما بذاته ـــ غير أنّ الشيخ الخديم τ جاء بأسلوب ملفت للنظر في هذا الباب وهو ما يمكن تسميته بـــ " الغزل العرفاني" الذي هو : " محاولة التخلّص من سوانح من لا يعلمون إلاّ " ظاهرا من الحياة الدنيا " والنجاةِ من هيص وبيص[258] " وهم عن الآخرة هم غافلون " وذلك بهتك حجب " وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم"[259] . وربما لنا وقفة أخرى في اكتناه هذه الشحنة المعرفية في دراسة أخرى.

---

[257]- (كامل) العبد الله ، "شعراء من الماضي " ، دارسات ونصوص أدبية لعدد من كبار الشعراء الذين أغنوا التراث العربي، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1962م ، ص : 105

[258] – أي عدم الاستقرار.

[259]– وذلك أثناء مقابلة خلال البحث الميداني مع (الككيّ) طوبى ، يوم الجمعة 2009/04/24 م.

(أ)- **لمحة بيانية حول مطلع القصيدة عند الشيخ الخديم τ:**

فالشيخ الخديم τ كان يؤمن إيمانا لا يخالطه شكّ في أنّ مطلع القصيدة لا يكمن فقط في التقيّد بماتوارثه الشعراء من القدماء حيث كان يجنح دائما إلى التجديد والإبداع ، ولذلك عدل عما كان مألوفا من تلك العادات والموروثات القديمة فكان " جلّ قصائد الشيخ جاء بدون مطلع وعنوان [260]، كما في قصائد الصلاة على النبي ρ، والدعاء ، والمدح ...، والتي مقيّدة بالآيات القرآنية "[261]

وتجدر الإشارة هنا في هذا المقام ، أن التباكي على الأطلال غير البكاء عليها ،والتغزل بالمرأة غير الغزل والتشبيب بها . وإذا كان الأمر كذلك فإن صدق التجربة وواقع الممارسة مطلوب في الدرجة الأولى ليكون العمل الأدبي ناجحا ... ومن هنا رأى الشيخ أنّ الغزل بما تحتويه الكلمة من دلالة ومعنى لا يلائم رسالته الدعوية ، فجنح إلى التغزل تكلفا وتصنعا... ألا ترى أنّ تغزله جاء غير فاحش وغير مستهجن ! .

كما يرى أيضا أن بدء أية قصيدة من قصائده بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها يفقدها شرطا جوهريا وهو صدق التجربة والممارسة...[262]

فقد استخدم الشيخ الخديم τ " الغزل العرفاني "إذن كهيئة وصورة جديدة مطلعا لقصيدته التي تكاد تكون اليتيمة من جملة قصائده على ــ حدّ علمي ــ وهو ما نحن بصدد معالجته في "جالبة المزيات ودافعة الرّزيّات في مدح خير البريّات ــ صلى الله تعالى عليه وسلم[263] ــ " وذلك ليلائم رسالته الدعوية التجديدية .

260– كان الأجدر بالباحث أن يقول : فكان جلّ قصائد الشيخ الخيم τ جاء مطلعها وعنوانها على شكل وصورة يشار إليه بالبنان كما في قصائد الصلاة على النبي ρ ...

261 – (نديجين) شيخ عمر، المرجع نفسه : ص: 122.

262– المرجع السابق، ص:132-133.

263 – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " جالبة المزيات ودافعة الرزيات في مدح خير البريات – صلى الله تعالى عليه وسلم – "،(المشهورة بــ" همّت سليمى")،ديون سعادات المريدين في أمداح خير المرسلين، ج1 و2، ط1، في طوبى، السنغال، 1396 هــ ، صص: 43 ــ 50.

(ب)- وفيما يلي شرح ما جاء في قصيدته "همّت سليمى":

فهذه القصيدة "همّت سُليمى " يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول:تتمثل في المطلع حيث يقول الشيخ الخديم τ:

همّت سليمى بصرفي عن مرّيّات ... كي ما تقود زمامي للرّزيـــــّات

أبدت لتصطاد قلبي حسن بهجتها ... ووجّهت لي الهدايا بالمبـــــرّات

أمست تطيّب نفسي كي أميل لها ... وحاولت ميل قلبي للهديّـــــات

وخاطبتني بما يدعو لِخطبتـــهـــــا ... وأظهرت صدق وعد بالرّغيبات

طورا تجيني وتوليني جوائزهـــــــا ... وتارة لّيَ تُهدي بالبشـــــارات

لاَكِنْ علمت وعلمي سوف ينفعني ... بأنّها ذات مينٍ في المقــــــالات

كانت مواعد عرقوب لّها مثـــلا ... وما مواعدها غير الخيانـــــــات

إنّ هذه المقدمة التغزلية يتمثل في أنّ المراد بـــ " سليمى" هو " الدنيا " على وجه التشبيه والمضارعة. حيث شبّه الشيخ " الدنيا " بما فيها من البهجة ... والغرور ... بهذه الفتاة الغادرة ... وفي هذا المعنى نرى كأنه τ يريد أن يقول لنا: إنّ هذه الدنيا لن تنال منه أبدا، ولن تبلغ منه – أيضا- مبلغ الحبيب الملاصق محبوبته ، والمتفاني في حبّها وشغفها ... بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيزدري " الدنيا " ويستخفّ بها ، ألا ترى أنه – رحمه الله تعالى – صغّر اسم "سلمى" فصار " سليمى" تحقيرا للدنيا وازدراء لها ... !!!.[264]

ويشير الشيخ الخديم τ في المطلع إلى علو همته المتمثلة في الوصول إلى الله تعالى ، والمعرفة به، وتحقيق العبودية له ، بينما ترغب " الدنيا " " سليمى" في صرفه عنها وردّه إلى زخارفها وسفاسفها. والأبيات التي جاءت بعدها تعتبر شرحا وبيانا **للمطلع** ، حيث تستعمل "سليمى" الخدع والحيل الكاذبة لإستمالته τ فيفضحها ، ويعرض عنها لما يعلم من كيدها وخلف وعدها.

---

[264]- (نديجين) شيخ عمر ، المرجع نفسه، ص: 120.

القسم الثاني: قوله τ :

ليست تُري الصّفو إلّا قد أرت كدَرا　　من بعده و تداري بالمكيدات

ولا تري النّفع إلاّ أدخلت ضــــررا　　فيه وتُضمر هضما في المعونات

فعُجتُ عنها إلى مــا الله يدخلنـــي　　به جنانا حوت حورا وفيـــّات

تظهر من خلالها حيل "الدنيا" مع أهل الإغترار بها فالشيخ الخديم τ يبرهن هنا رفضه الإقبال إلى "الدنيا" وطلبها، فيظهر خسّة قدرها وقلّة وفائها مع كثرة كدراتها ومنغصاتها حيث يعلن "قطيعة" بينه وبينها وانصرافه إلى الدار الآخرة ، فيلتفت بلطف ليخلص إلى موقف آخر من مواقفه في القصيدة وهو التوجه إلى الله تعالى وإلى الدار الآخرة بوصف نساء الجنّة وهنّ الحور العين فيقولτ :

هنّ الغواني اللّواتي لا تكافئوهـــا　　سلمى وهند وليلى في الخريدات

هنّ الغواني اللّواتي لا يفوز بهـــا　　إلّا الّذي ازدان بالتّقوى بطاعات

هنّ الغواني اللّواتي الدّهر ما كثة　　فيما لها من خيام وسط جنّـــات

حور لّـــدى الله عِينٌ لّا يقاربها　　حيض ولا درن دامت نقيـــــّات

إلى قوله τ:

هنّ الغواني اللّواتي القلب طاب لها　　يختارهنّ على سلمى وهنـــدات

القسم الثالث: قولهτ:

ومهر هنّ اتّقاء الله فــاطرِهـــــا　　بتوبة مّنْ هوى نفس لّطاعـــات

بتوبة وبإســـلام إلى مــــلـــــك　　قد جاد بالمصطفى كنز البريّات

وهنا إلتفاتة أخرى لطيفة إلى غرض آخر يعتبر هو "بيت القصيد" وهو صدق التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى مع الوسيلة العظمى النبي المصطفى ρ ويتمثل في حقيقة التقوى والسلوك الذي بدايته الإستسلام والإنقياد التام والتوبة النصوح .

القسم الرابع: قولهτ:

أسلمت نفسي لرّب لّا شريك له	**مع الّذي قفوه شغلي وحاجــاتي**
أسلمت نفسي لرّب لّا شبـــيه له	**مع الّذي حبّه أقصى مرامــــــاتي**
أسلمت نفسي لرّب لّا نظير له	**مع الّذي نهجه خيرُ المحــــجّات**
أسلمت نفسي لرّب لّا مُعين له	**مع الّذي دينه خيرُ الدّيانـــــات**
أسلمت نفسي لرّب لّا ابتداء له	**مع الّذي قد حوى خيرَ الطّريقات**
أسلمت نفسي لرّب لّا انتهاء له	**مع الّذي قربه كبرى مهمّــــاتي**
أسلمت نفسي لرّب جلّ عن وّلد	**مع الّذي مدحُه شرعي وعاداتي**

إلى قولهτ:

وَهْوَ الجواد الّذي جلّــت جوائزه	**عندي وقاد زمامي كلّ ساعات**
مِن ذا التزمت له في كلّ مـــا سنة	**دين امتداح بأبيـــات غريبـــات**
قد التزمت له في كـــلّ ما سنـــة	**مادام عقلي معي ديـــن الهديّات**
فكيف أترك عاما شكـــر واسطة	**أسنى الوسائط طرّا والوسيـــلات**
وكـــــــلُّ عام توافيني مــــواهبه	**بل كلّ وقت يواســـيني بمنّـــات**

من هنا لآخر القصيدة يأتي مسك الختام بإعلام إلتزامه مدح النبي ، والصلاة عليه سنويا بقصائد متجددّة رائعة عرفانا منه بالجميل.[265]

(ج)- وخلاصة القول في هذه القصيدة: أنها من خلال هذه الفقرة تظهر محورية المدح عند الشيخ الخديم τ بالمواهب الجليلة التي تأتيه من مشكاة النبوة الشريفة.

[265] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ ـــ طوبى ـــ يوم الإثنين 2009/05/04 م .

المبحث الثالث

البعد الميتافيزيقي

السؤال المحوري الذي يطرح نفسه هو: ما هي الحقيقة الخديمية؟

الحقيقة الخديمية هي:"البرزخ الجامع لأسرار الأسماء والصفات، المظهر الأتم بعد رسول الله ρ".

ونعني بالحقيقة هنا: الصورة المطلقة للكائن الخديمي في علمه تعالى. يتحدّث الشيخ عن تلك الحالة الروحانية الميتافيزيقية في خطاب زاخر بالإيحاءات الدلالية ذات المنحى الإبستمولوجي، يقول:

ومن خوارق النبي المفضَّـــل　　　عليه تسليما العلي المفضّلِ

كون سني تغربي مستخـــرة　　　من زمن مضى مزايا مخرجة

قد شبهت بما من الرسل جرى　　　إلى الذين كلهم قد فجرى

عليهم الصـــلاة والســـــلام　　　كما انتفـــت ببعثهم ظلام

و قال في نفس السياق:

باهى رسول الله كلّ الأنبيا　　　عليهـــم أبقى سلامي ربّـــيا

بغربتي عشر سنين بخـــدم　　　خالصة لذي الوجود والقدم

وقد قال:" لو لا الخدمة ومصالح العباد، ما بت في الدنيا ليلة واحدة".

وهنا تتجلى خطورة "الخدمة" وأهميتها في بعدها الميتافيزيقي.

و"الخدمة" في بعدها الميتافيزيقي هي: "أَكْ طَالُبه" Ak tālube: وهو مفهوم يرمي إلى تحقّق مضامين "الخدمة" في أطرها الفكرية المحضة؛ وأعني به: تسامي "الخدمة" عن زمكانية الوجود إلى مطلق الفناء الذي كما يقول الشيخ الأكبر ــ قدس الله أسراره ــ : "هو سكونك تحت بساط الحقيقة المنوّرة".

و"الخدمة" في حالة تحقّقها الروحي هو: تسامي الخادم بالمخدوم تساميا تمحوريا نحو المبدأ الأعلى في حالة الإنعتاق نحو الكمال.

وأما في حالة تحقّقها الوجودي المحض نحو التزاوج بين "الروح" و"المادة" وهو: بناء الحضارة والثقافة في حالة سيطرة "الروح" على "المادة" دون العكس وإلاّ صار الأمر وثنيّا محضا وهو أمر يرفضه الدّين.

ولذلك أرى أنّ "الخدمة" تتمحّور إشكالياتها حول الثقافة والحضارة دون سيطرة الثانية على الأولى[266].

[266] – الككيّ،(جوب) مصطفى ، "نظرية الخدمة"، صص:7-8. (اقتباس)

هـــ – الصّلاة و التسليم على النبي ρ

لقد سبق أن أشرنا إلى أنها من أهم الأغراض الشّعرية التي وقف عندها الشيخ الخديم أحمد بمب شعره العرفاني[267] ، فقد أفرد لها دواين ضخمة من جملة نتاجه الشعري ، كما نجدها أيضا بوفرة في كتاباته النثرية . وإذا كانت الصّلاة – عليه السلام- حقّ علينا وجوبا ولو مرّة في العمر ، فالشيخ الخديم τ قد جعلها قربة على الدّوام ؛ فقسّم العام نصفين ، نصف للصّلاة على أفضل البشر، والنصف الآخر جعله لمدحه ε [268].

فالصّلاة إذن والتّسليم على نبي الرحمة عند الشيخ τ هي : " بمثابة نمذجيّة نورانية لبواتق المعاني السّدرية التي تفيض من روح سيّدنا محمد الخاتم ε المطلسمة بالحقيقة المحمّدية الشريفة [269]"

فقد كشف لنا الباحث [الككيّ] في جملة تنقيباته التراثية دواوين ضخمة جدا طبعت على نفقة الشريف[مولاي أحمد بن أبي بكر التبر[270]] في جمهورية مصر العربية إبان تواجد الشيخ الخديم τ في انْجَارِيمْ [271] **NDIAREME** ـــ السنغال- ذلك سنة 1923م ؛ وسنة1924م وسنة1925م وسنة 1926م في دور نشر مختلفة وأخصّ منها بالذكر مطبعة دار السعادة – القاهرة –.

<u>والقصائد التي تحتويها تلك الدواوين منها التالية:</u>

1-"جالبة المراغب في آجل كعاجل للراغب"

2-"مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح"

3-"مسالك الجنان في خدمة المطهّر الجنان "

4-"مواهب القدوس في نظم نثر شيخنا السنوسيّ"

5-"تيسير العسير"

6-"تزّود الصّغار"

7-"وكان حقا علينا نصر المومنين "

---

[267] – أنظر : (أغراض الشعر الخديمي، الباب الثاني) صص: 71- 73من هذا البحث.

[268] –أنظر : (خصائص الشعر الخديمي) صص: 71-73 من هذا البحث.

[269] – أنظر : (أغراض الشعر الخديمي، الباب الثاني) صص: 71-73 من هذا البحث.

[270] – لم أعثر على ترجمة له خلال البحث الميداني .

[271] – هي العاصمة الثانية للمريدية بعد (طوبى) ، وجُرْبِلْ DIOURBEL اسم ثان لها ، وقد كانت مقرا لإقامة جبرية للشيخ الخديمτ بعد عودته من المنفى ، حتى إنتقاله إلى جوار مولاه عزّ وجلّ.

8-"الجوهر النفيس في عقد نثر الأخضري الرئيس"[272]

وتلك الدواوين المنثورة قد أحدثت صدى إيجابيا في الطبقة المثقّفة في مصر آنذاك حتي جاء تفريظ لإحدى القصائد ؛ وأعني بالضبط قصيدة "جالبة المراغب في آجل كعاجل للّراغّب" المراد دراستها لاحقا حيث يقرّ فيها مصحّح دار النشر بأنّ تلك القصيد ة تكفي لمن يريد الوصول الى الله عزّ وجل"[273].

(أ) – وفيما يلي شرح ما جاء في قصيدته: "جالبة المراغب في آجل كعاجل للراغب"[274]

تنقسم هذه القصيدة إلى ثلاثة أقسام: 1-فاتحة. 2- ومقدّمة. 3- ولبّ القصيدة

1- فالفاتحة :من قوله τ في مطلع القصيدة:

يقول عبد الله وهو أحمد خديم من سُماته محمّد

إلى قولهτ:

سميّتها جالبةَ المراغب في آجل كعاجل للّراغّب

افتتح القصيدة بتعريف مؤلّفها وهو أحمد بن محمد بن حبيب الله، عبد الله وخادم رسولهρ،ثم بالبسملة والحمد والشكر والتسليم على النبي ε ثم بيّن غرضه في تأليف القصيدة وهو "خد مته " ε "خدمة" تقرّ بها عينه ε ويترقّى بها العبد الخديم τ إلى مقام العبودية العظمى.

ثم يجدّد حمده وشكره لله عزّوجلّ ويبتهل إليه أن يجعل قصيدته هذه نافعة مباركة، منجية من عذاب النار ، وأن يجعلها من أعظم القربات عنده .

ويختتم الفقرة بتسمية القصيدة بـــ " جالبة المراغب في آجل كعاجل للراغب"[275]

2- وأمّا المقدّمة : فخصّها بالتعوّذات والتوسّلات مقرونة بالصّلاة والتّسليم عليه ε بشكل بديع. فقد بيّن في البداية أنّه يؤلّف هذه المنظومةَ في الصّلاة والتّسليم على النبي ε امتثالا لأمره تعالى حيث يقول: [إنّ الله وملائكته يصلون على النبئ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما]، فجاءت المنظومةُ تلبية لهذا النّداء الربانيّ العظيم، فقد أورد الآية في أوّل المقدمة وأعقبها بقوله:

272- راجع: الاحالة رقم:34 ، ص: 20من هذا البحث.

273 – أنظر : (مكانة الشعر الخديمي في الأدب السنغالي العربي) ، ص:112 .

274 – (البكي) الشيخ أحمد بمب ،" جالبة المراغب في آجل كعاجل للراغب" – مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم- رضي الله عنه – طوبى، السنغال. (هي مؤلفة من خمس مائة وعشرين بيتا (520) في الصلاة والتسليم على أفضل البشر وسيد أهل المحشر سيدنا محمد ε فريدة في بابها . وهي من أروع قصائد الشيخ الخديم τ في هذا الباب وأجلها وقد اتّبع فيها نظاما خاصا كما أشار إلى ذلك مقرظ القصيدة السيد محمد عطية .

275 – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الأربعاء 2009/05/27 م .

[لّبّيك ربّي وسعديك والخير كلّه بيديك عبدك الرّاجي بين يديك مصلّيا ومسلّما على أكرم الخلق لديك...]

وتتبلور من خلال هذه العبارة فلسفته في الصّلاة والتّسليم على النبي ε وتتلخص في ثلاثة أمور:

أ- أنّ الله تبارك وتعالى أكرم نبيّه وأعلاه وعظّمه وشرّفه على الدّوام وأمر ملائكته وأهل طاعته بالصّلاة عليه لعظّته وكرمه لديه، فينصاع الشيخ τ لهذا الأمر العظيم العام.

ب- أنّه τ وقف حياته عبادة لله تبارك وتعالى و " خدمة" لرسول الله ε فيقول في مستهل هذه القصيدة:

فقمت ناظما لّذي المقدّمــهْ	**مصلّيا بها على من قدّمــهْ**
مرتجيا كوني " خديما " أسنى	**وأن أفور بالمقرّ الأســنى**

أُرجوزة عابدة لّـلّـــه	**مع الكتاب ورســول الله**

ج – أنّه يصلّي ويسلّم على النبي ε متوسّلا بهما إلى ربّه في جلب المرغوب ودفع المكروه، وفي الترقّي إلى الله أعلى الدّرجات والمقامات[276].

يؤكّد هذا المعنى في بداية المقدّمة ، فيصلّي ويسلّم عليه ε صلاة وسلاما يقرنهما بالدّعاء ، ثم يصلّي عليه مع الآل ثم مع الأصحاب، ثم يدعوا لكلّ فرد من أفراد الأمة المحمّديّة على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم فيقول τ :

ياربّنا ياربّنا ياربّنــــا	**ياربّنا ياربّنا ياحبّــــنا**
أمرتنا بأن نّصلّي عــلــى	**سيّد نا من البريّة عـــلا**
محمّد وأن نّسلّم عَـــلاه	**يا باقيا أبقيت سرمدا عُلاه**
فسرمدا صلّ وسلّم يا كريم	**عنّي عليه ولتقد لي ماأروم**
صلّ عليه في جميــع الآل	**مع سلا م واستجب سؤالي**
صلّ عليه في جميع الصّحب	**مع سلام ولتوضّح لحــبي**
واغفر لّكلّ مومن ومومنــه	**مغفرة لّكلّ خير مُـدمنـه**
واغفر لكلّ مسلم ومسلمه	**مغفرة تعصمهم مّن ظلمــه**

[276] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم السبت2009/05/30 م .

واغفر لكلّ محسن ومحسنه　　　مغفرة لّهم تقود الحسنه

ثم ينادي ربّه بأسماءه الواردة بالبسملة، ويثني عليه ويصلّي ويسلّم عليه وعلى آله وأصحابه وأمتّه صلاة وسلاما يقرنهما بالمدح والدّعاء.

ثم يصلّي ويسلّم بنفس الكيفية متوسّلة بالعذبلة والبسملة والفاتحة ،ثم يعود ويتوسّل بالعذبلة مع ذكر كلّ حرف على حدة في الكلمة الأولى، ثم يتوسّل بحروف البسملة كلّ على حدة ،ثم يعود ويتوسّل بالعذبلة والبسملة من جديد.

ثم يعود ويتوسّل بحروف العذبلة تفصيلا ويدفع بكلّ حرف من الحروف مكروها من المكروهات وسيّئة من السيّئات.

ثم يعود ويتوسّل بحروف البسملة تفصيلا ويدعوا بكلّ حرف من الحروف بما يجانسه معنى. ويورد كلّ هذه التعوّذات والتوسّلات في صلوات وتسليمات يقرنها بالثّناء على الله ومدح الرسول ε والدّعاء لنفسه وللمسلمين ،وهكذا إلى آخر المقدِّمة التي تصل إلى قوله τ [277]:

واجعل به نظمي فوق الصّوم　　　وغيره من مّانعات اللّوم

وخلّدِ التّبشير والتّـــامينـــا　　　لي أبدا مَّع الرّضى آمينا

3- **<u>ولبّ القصيدة</u>** :مارتّبه على نظام واحد، وصار فيه على وتيرة واحدة من الصّلاة والتسلّيم على النبيε وهو "جوهر القصيدة" من قوله τ:

ياربّنا ياربّنا يا ربّنـــــــا　　　ياربّنا ياربّنا ياحبّنـــا

صلّ صلاة بسلام سرمدا　　　على الّذي سمّيته محمّدا

إلى آخر القصيدة ، ويتمثل هذا النظام في الأمور الآتية:

(أ) – يفتتح كلّ صلاة وينادي ربّه باسم من أسمائه الحسنى ،أو بصفة من صفات ذاته العليّة، أوصفة من صفات فعله أو بالتعبير عن صدق توجهه إليه تبارك وتعالى، كأن يقول مثلا:

صّل بتسليمك **ربّا حمدا**　　　على الّذي سمّيته بأحمدا

صّل وسلّمن **ياحميــد**　　　على الّذي سماته محمود

---

[277] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الأربعاء 2009/06/03 م .

وصّل **يافردا لّه التوحيد** على الّذي سماته أحيد

صّل وسلّم **واهب السّماح** على معظّم سماه ماح

وصلّين وسلّمن يّا قادر **يا من إلى رضائه أبادر**

صّل وسلّمنَّ يا مقتدر **يا من إلى مرضا ته أبتدر**

(ب)- يصلّي على النبي ε ويسمّيه باسم من أسمائه التي يعدّدها بالترتيب،ويزيد ما جاء من أسمائه ε في هذه القصيدة على مائتين وثلاثين اسما (230)،هكذا:

صلّ صلاة بسلام سرمدا على الّذي سمّيته **محمّدا**

صلّ بتسليمك ربّا حمدا على الّذي سمّيته **بأحمدا**

وصلّ ياربّا له المحامـــد على معظّم سماه **حامد**

صلّ وسلّمنَّ يا حميـــد على الّذي سماته **محمود**

ثم هكذا إلى آخرها.[278]

ج- يقرن صلاته عليه بالتسليم لقوله تعالى: [... صلّوا عليه وسلّموا تسليما] فيقول مثلا:

وصلّين وسلّمن يّاقـــــادر يامن إلى رضائه أبادر

صلّ على العاقب وَهْوَ طـــه مع سلامك وزده جاها

صلّ على خير الورى يا سينا مع سلامك وزد تحسينا

وهكذا.

د – يصلّي عليه مع الآل والأصحاب ويصفهم في كلّ صلاة بصفة من الصفات المحمودة مدحا و إشادة كقوله τ:

وصلّين وّسلّمن يا قاهر على معظّم سماه طاهـــــــر

وآله وصحبه الرّجال يا من حمى كلّي عن الأوجال

صلّ وسلمنَّ يا مقتدر يامن إلى مرضاته أبتـــــــدر

---

[278] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم السبت2009/06/06 م

على الّذي سماته مطـــــــــهّر **والآل والصّحب الّذين مهروا**

وصلّين مّع سلام طيّـــــــب على الّذي سمّيتـــه بطيّـــــب

والآل والصّحب ذوي المناقب يا خير من نّوجي بالتّــــراقب

هـــ – يختم كلّ صلاة بالثّناء على الله أو بالتحدّث بنعمه سبحانه أو بالدّعاء كقوله τ:

صلّ صلاة بسلام سرمدا على الّذي سمّيته محمّـــــــــدا

وآله وصحبه ذوي التّقى **يا غافر الذّنب وواهب ارتقا**

صلّ وسلّمنَّ يا مُؤيّـــــــــد على الّذي سمّيته بـــسيّد

والآل والصّحب نجوم الغــير **يا من هداني لفعل الخير**

صلّ وسلّم يا أنيس الآمل على الّذي سمّيته بكامل

وآله وصحبه **ولي الأمل يسّر ومنّي تقبّل العمل**

وهكذا إلى آخر القصيدة.

و – يلمّح ضمن صلواته في آخر القصيدة بتمامها واختتامها ، ويعبّر عن شكره لله وامتنانه وهو ما يعرف عند البلغاء بحسن الإختتام أنظر إلى قوله τ:[279]

صلّ بتسليم على ذي الفرج بدر التّمام وكريم المخـــرج

وآله مع الصّحاب الكمّـــل وارفع لوجهك الكريم عملي

---

[279] – وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم السبت 2009/06/08 م.

و ــ المـــــــــدح

(أ)– بين قديم مضى وجديد يشقّ طرقه ويجدّد له المعالم:

المدح في الجاهلية: هو ذكر محاسن الممدوح وشمائله الكريمة ومناقبه الميمونة ويهدف المدح إلى الإشارة بكرم الممدوح وشجاعته وحميته ونجدته وأريحيته ووفائه وغير ذلك من الصفات التي تعدّ غرة في جبين المكارم والمناقب المحمودة. وكانوا إذا مدحوا لايبالغون في إطراء الممدوح إنما يقصدون ويكونون أدنى إلى الإعتدال والواقع ، ومن ذلك مدائح النابغة الذبياني في المناذرة والغساسنة.[280]

وفي المدح ما هو قديم تقليدي قد اندثر وعفى عنه الدهر، وما هو قديم دخل فيه التجديد وما هو حديث اقتضته الحياة وكل ذلك في هذه البلاد... علما أن مدح رسول الله نشأ مع بداية الدعوة الإسلامية ويمكن القول بأن القصائد التي أنشأها حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم من صميم هذا الفنّ ، ولكن يرى بعض الباحثين أن فنّ المدح النبوي نشأ في القرن **السابع الهجري** على يدّ شعراء مصر وفي مقدمتهم محمد البوصيري والذي له موقع خاص في قلوب السنغاليين في قصيدته " البردة " و" الهمزية" ، غير أنّ الباحث عباس الجراري يرى أنه أبعد من ذلك والذي قاله عبد المطلب في لحظة ولادة محمد ρ يمكن أن يكون إرهاصا لذلك :

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ضياء بنور الأفـــق

ونحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ومن نوع ذلك ما قالها ميمون بن القيس:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمد وبات كما بات السليم مشهد

[280]– "الأدب العربي وتاريخه"، المرجع نفسه، ص: 135.

هذ وازداد هذا الفنّ تبلورا على أيدي شعراء الشيعة أمثال الكميت ، ومن ثَمّ وجد المدح صيغة مكتملة على يد المتصوفين حتى صار غرضا أعطى له شعراء البلاد اهتماما بالغا.[281]

هذا وكان للرسول ρ نصيب الأسد في المدح السنغالي. والسبب قد يرجع إلى أنّ معظم شعراء البلاد ينتهجون نهج التصوف الذي يعتبر مدح رسول الله وإنشاده من أعظم العبادات ومن مفاخر أصحاب الزوايا في البلاد، بل أصبح سنة متبعة يتوارثها الشعراء فيما بينهم ويتخذونها وسيلة للوصول إلى مرضاة الله عزّ وجلّ [282].

والشيخ الخديم τ ــ في غمرة إبداعاته ــ قد سلك طريقا يشار إليه بالبنان في المدح حيث نجده يجعل المدح والصلاة على النبي ρ غرضين أساسيين من جملة أشعاره، وذلك واضح في قوله :

له امتداحي بعد نجاحي عند الصبّاح وفي المساء

صلاة ستّة بمدح ستّة تأتيه بتّة مع ائتســـاء

وقال أيضا في نفس المنظومة:

أنت الجميل لك أميل أنت الرسول بلاجراء

لك لساني مع الجَنان ولا أداني كالشعراء[283] (#)

وهكذا نراه يشير إلى غرض المدح فيقول τ :

دعاني إلى مدح المقفّى محمّــــدِ إطاعة ربٍّ مُّوصل بي ذوي رشد[284]

والمدح هنا حسب الرؤية الخديمية هو : " الاستحضار الملإيّ للمزايا المصطفوية وتفعيلها في جوانح النفس البشرية " . هو أساس روح " الخدمة [285]".وفيما يلي بيان في معرض مدحهτ في قصيدته :

---

[281] – (كاه) محمد ا نجما ، المرجع نفسه ، ص: 20.

[282] – المرجع السابق، ص:21 .

[283] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مواهب النافع في مدائح الشافع "،– مخطوط – في مكتبة الشيخ الخديم τ بطوبى، السنغال.

(#) – ولا أداني غاية فضلك وكرمك، وشأني في ذلك شأن غيري من الشعراء المادحين (وذلك أثناء البحث الميداني، في لقاء مع عافية أحمد انيانغ ــ طوبى ــ يوم الأربعاء 06/05/ 2009)

[284] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، " مدادي واقلامي " ، ــ مخطوط – في مكتبة الشيخ الخديم τ بطوبى، السنغال.

[285] ــ راجع : ص: 57 من هذا البحث.

(ب)- " مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح " :

لجلال قدرها ولكونها من الدرر التي يتنافس في الحصول عليها البارعون في اللغة العربية ، فقد وردت تقريظ لها من قبل الرحالة المدني (وهو من سكان المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلوات وأتم التسليم ، وذلك بعد العودة من الغيبة البحرية ، واسمه عبد الله ابن محمد المدني) وهذا ما كتبه بخط يمينه: **"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وأمته، ومما أبرزته حضرة سيدنا ، شيخنا وأستاذنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا، العلم الجامع بين الحقيقة والشريعة ، القطب الصمداني محي السنة الرفيعه ، ومميت البدعة الشنيعه ، الشيخ سيدي محمد بن محمد بن حبيب الله البكي ، حفظه الله تعالى وتولاه بالنبي المكي ، ونفعنا بما علمه من العلم اللدني ، من خدمه الموسومة بالبحريه ، وفيوضاته الوهبية ، وقصائده الدريه ، في المدائح النبوية ، والصلوات العرفانيه ، والمناجاة الربانيه ، التي تفوت العد كثرة ، وتفوق منها النضار نضارة كل شذره ، المأخوذه من حروف قوله تبارك وتعالى : "وإنّك لعلى خلق عظيم" بهذه الكيفية الغريبه ، وهي أن يكون كل حرف من حروف الآية الكريمة ، إثنا عشر بيتا كل بيت يكون رويه وأول صدره من حرف واحد من تلك الحروف فجاءت مائة واثنين وتسعين بيتا من ستة عشر قصيدة على عدد حروف الآية العظيمه ، بإظهار النون المضغمة في لفظه (وإنّك) ... ، ضاربة بلسان حالها لرؤوس الدواوين المفتخرة أطراق كرا... "** [286]

- وفيما يلي بيان في معرض مدحه τ في قصيدته: "مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح ":[287]

فيقول مثلا في مطلع القصيدة الأولى:

وثقتُ بربّ العرش ذي الجود والعفو   مع المصطفى والله لي مُخلد صفوي

وثقتُ مع المختار بالله وحـــــــدَ ه   عليه سلا ما مَنْ به قد محا لَغــوي

---

[286] ـــــ النسخة الأصلية في عهدة (الككيّ) تلقاها جده القاضي مصطفى بن مصمب صل، تناولها من اليد المباركة ، يد الشيخ المؤلف مأذونا منه باستعمال ما حوته عشية يوم الخميس سابع عشر شوال الأبرك عام ستة وعشرين بعد ثلاثمائة والألف من هجرة أكمل الخلق صلى الله عليه وسلم (1326هـــ / 1908م).

[287] – (البكي) الشيخ أحمد بمب "مقدمات الأمداح في مزايا المفتاح " ـــ مخطوط ـــ في الشيخ الخديم τ بطوبى، السنغال.(وهو ديوان مؤلف من ستة عشرة قصيدة مأخوذة من الآية الكريمة قوله تعالى: " وإنّك لعلى خلق عظيم "، كل قصيدة مؤلفة من إثني عشرة بيتا ، ويكون روي كل بيت وأوله من حرف واحد إلى تمام القصيدة.)

وقاني به السُّوأَى ولي كان بالمــنى ... **ولي قاد إخلاصا به قد محا سهـــوي**

ولجت خديما في امتداحي محمّـــدا ... **عليه صلاة الله ما صان لي نحـــوي**

ولجت خديمافي امتداحي وسيلـــتي ... **عليه سلاما الله مُعليه ذا فشـــــو**

وَنَى كُلُّ ذي علم وسعي ورتبـــة ... **عن المصطفى في خُلْقه الحائز العُلو**

وجيه وَصول واصل واسع لـــّـه ... **صِحاب بهم أغنانيَ الله عن غـــزو**

وسيم ووهّاب وصيّ وسيلـــــة ... **إلى خير ربّ ذكره قد محـــا لهوي**

وفيّ كـــــــريم واعد وعده أتى ... **به لسوانامال ذو الجَـــور بالرَّعْـــوِ**

وليّ نبيّ للّبرايا رسولُ مَـــــــنْ ... **به لسوانا ساق ذا الظّلم والسَّطـــو**

ودادي لربّي والمقـــفى وحِزبـــه ... **وَمَنْ حبّهم والله لي كان بالعـــفـــو**

وثقتُ بباق صرت عبـــــدا لّه به ... **خديما لّخير الخلق بالمكث والصّفـــو**

(ج)- من إبداعاته وتفنّنه في هذه القصيدة:

1- إنّ الحرف الأول في صدر كل بيت هو نفس الحرف في رويه من العجز.

2- إنّ جلّ الأوصاف التي وصف بها الممدوح في هذه القصيدة مبدوء بنفس الحرف الذي بنيت به القصيدة وهو (الواو)، انظر قوله: وجيه وَصول واصل واسع وسيم وهّاب وصيّ وسيلة وفيّ واعد وليّ... إلخ.

3- أنظر إلى جناسه وتكامل المعنى في قوله: وَصول واصل، وفيّ كريم واعد وعده أتى،

وليّ نبيّ للّبرايا رسول مـــــن ... **به لسوانا ساق ذا الظّلم والسّطو.**

4- أنظر إلى حسن البلاغة في قوله:

ونى كلّ ذي علم وسعي ورتبة ... **عن المصطفى في خلقه الحائز العلو**

وهكذا جاء ت القصيدة غاية في الروعة والحسن والإبداع والجمال.

وقد نسج قصائد الدّيوان كلّه على هذا المنوال ، فكان كرامة في مدح النبي ρ [288].

[288] - وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع عافية أحمد انيانغ ـــ طوبى ـــ يوم الأربعاء 06/05/ 2009 م.

– مكانة الشعر الخديمي :

(وشهد شاهد من أهلها وهو **المصري محمد عطيّة** مقرظ القصيدة)

"... فيقول راجي عفو رب البرية الفقير إليه تعالى مصححه محمد عطيه ... ورضي الله عن مؤلف هذا الكتاب وعن القارئ والناظر فيه ذوي الألباب وبعد فقد تمّ طبع الكتاب المسمى "جالبة المراغب" المشتمل على ما يوصل المريد إلى الله والطالب حاز قصب السبق فيما لم يسبق إليه جدير بأن يعض بالنواجذ عليه كتاب شريف قدره منيف ان شئت فقل الروض النضير أو البدر المنير وإن شئت فقل جنة عالية قطوفها دانية جمع بين دفتيه من العقائد الغرر والتوسلات النبوية ما يباهي بها الدرر كيف لا وهو لمؤلفه شيخ شيوخ الطريقة وشيوخ أهل السلوك والحقيقة صاحب الكرامات الظاهرة وخوارق العادات الباهرة القطب الرباني والفرد الصمداني أبو العباس سيدي أحمدبن محمد بن حبيب الله الشهير بالشيخ أحمد بنبا رضي الله عنه وارضاه واكثر من أمثاله لنفع المسلمين آمين يا رب العالمين[289]".

[289] – النسخة الأصلية في عهدة (الككيّ). راجع أيضا: ص:110 من البحث.

الفصل الثاني

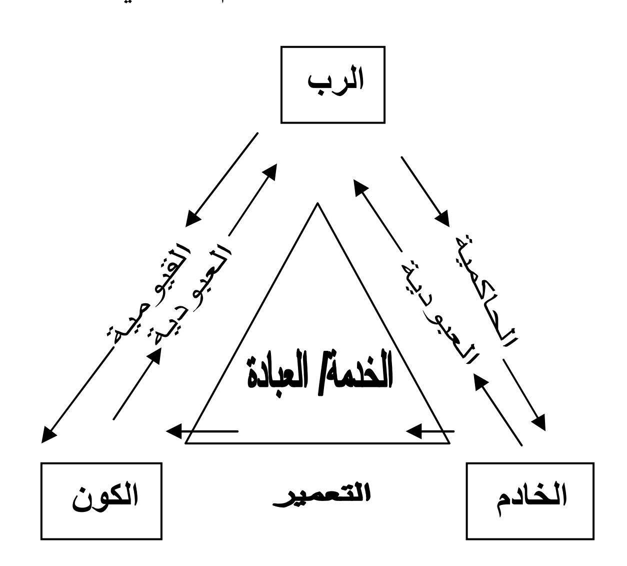
البعد الإيدولوجي

البعد الإيدولوجي

"الخدمة" كنظريّة هي مشروع طموح يدعوا إلى إعادة قراءة "الإنسان" و"الرّوح" والربط بينهما في علاقة حميمة يتربّع فيها الإنسان على عرش الخلافة بالعبودة سيرا إلى الله بالباطن أو حبوا إليه بالتسبّب ضاربا عرض الحائط "الطلسمات وأسماء الجان" التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فيصير الإنسان في هذه الحالة نقيّا بسيطا يتسامى بـــ"عقله" في الملك وبـــ"روحه" في الملكوت. وإنشاء الله سوف نرى كيف عالج "نظرية الخدمة": ثالوث: الله / الإنسان / الكون، في شكل فلسفيّ جميل.

ثالوث: الله، الإنسان، الكون، تتموضع علاقاته ضمن "منظومة الخدمة" على شكل أنساق بنيوية، تحيل إلى حبكة: "الخدمة" / العبادة، وهذا رسم هندسي لها:



الشكل البياني رقم: (4)

والربّ هو المتربع على قمّة الوجود والمتحكّم على مصائر الملحمة الوجودية الإنسانية. وعلاقة الربّ بين طرفي المعادلة: الخادم / الكون هي: القيومية، ثمّ تتحدّد العلاقة بين الربّ والخادم كعلاقة حميمة تتأسّس على المحبّة المتبادلة وفق منهج الخلافة / الحاكمية.

والحاكمية: هي التي تتمحور حولها مهمّة الخادم / الخليفة وهي جهد تأويلي يقوم به الخادم لتنزيل النصّ الربّاني على أرض الواقع ويتحقق ذلك في فقه الكتاب / المنثور كمنطلق تأسيسي لأسباب النزول على إجابة السمّاء، والنصّ الربّاني كمنهج إصلاحي تطويري للكون كمسرح للخلافة الإنسانية.

وعلاقة الخادم بذاته (الإنسانية) تحكمها معادلة: البرّ / التقوى.بينما تحكم العلاقة بين الخادم والكون منظورية التعمير، وتتحوّل هذه المنظومة بأنساقها المختلفة إلى" الخدمة " / العبادة.[290]

[290]– الككيّ ،(جوب) مصطفى ،"نظرية الخدمة" ، ص: 5. (اقتباس)

المبحث الأول

قراءة خديمية للحضارة الغربية

سوف نتعرض في هذا المبحث إلى دراسة قصيدة "إلهام السلام في الذبّ عن دين الإسلام"[291]. وهي القصيدة التي فضح فيها الشيخ الخطوط العريضة للمشروع الإستعماري وطموحاته الإمبرياليّة بكلّ أبعادها الظّاهرة منها والخفيّة، التي من بينها البغي على الدّول المستعمِرة والطّمس على معالمها الدّينية والثقافية والحضارية والتّكالب عليها لنهب ثرواتها، كما رسم فيها، من جهة، أوجه الخلل في التّقدّم العلمي والتّكنولوجي الغربي، أي الجانب اللاإنساني فيه، ومن جهة أخرى، التّحريض على تأكيد الذّات والهويّة ضدّ عمليات التّغريب والإستلاب التي تغلغلت في وجدان الشّعب، وذلك ببعث روح الوعي في عقلية المواطنين الذين كانوا يعانون من عقدة النقص والتّمزق الكياني أمام المستعمر إبان ذلك الوقت؛ الأمر الذي حدا بهم إلى الإيمان – بدون وعي – بتفوّق الجنس الأبيض وأفضليته عليهم نتيجة التّقدّم العلميّ والتّكنولوجي المذهل الّذي أجراه الإله الخالق على أيديهم.[292]

وفي هذا الصدد يقول الشيخ الخديم τ:

ومنهُمُ من غرّه النّصـــارى … بوصفهم حتّى الفؤاد حارا

وينسِب الصّنع الّذي أجراه … فيهم إله الخلق إذ دهـــاه

لهم ويعتقد أنّ الحـــــــولا … وقوّة الفعل لهم والطّولا

****

ومنهم من يّحسب التّأثـــيرا … لهم وينسى الخالق القديرا

ومنهم من إن رّأى نصـــراني … يحسبه من مّلائك الرّحمان

ومنهم من ظنّ كونَ الأمـــر … كالنّفع والضّرّ لهم في الدهر

قلت منبّها لّهم يا قـــــوم … انتبهوا من سكرات النّـــوم

لا تجعلوا منتفخا قـــد ورما … مستسمنا فذاك جهل علما

ولا تظنّوا أنّهم قـــــد فازوا … بكلّ خارق وخيرا حـــازوا

291 ــــ (البكي)الشيخ أحمد بمب ، " إلهام السلام في الذّبّ عن دين الإسلام" ديوان في التوحيد ، والفقه ، والتصوف ، والنحو ... ،ط1،مطبعة الشيخ عبد الأحد البكي في طوبى ، السنغال ، سنة 1397هـ .

292 ــــ (انجاي) محمد غالاي، المرجع نفسه ، ص : 63 .

لا تطلبوا من غير ذي الجلال العزّ والرّفعة للضّلال

فإنّما العزّة للــــرّحمــــان جميعها ولذوي الإيمان

ومن تعزّز بغـــير اللّـــه فهو ذو ذلّ سفيهٌ لاَّهِ

انطلاقا من هنا يمكننا أن نلاحظ موقف الشيخ الخديم τ تجاه الحضارة الغربية، حيث ذهب (الككيّ) إلى أنّ موقف الشيخ τ تجاه الحضارة الغربية كان موقفا واعيا لمتطلّبات المرحلة، وهو كما عند محمد إقبال[293] ، أو كما عند جمال الدّين الأفغانيّ، مع اختلاف كلّ واحد من الثّلاثة حسب منظومته الخاصّة.

ويتبلور موقف هؤلاء برفض صنميّة[294] الحضارة الغربية.[295]

وفيما يلي بيان لموقف الشيخ الخديم τ تجاه الحضارة الغربية، مع إظهار أسباب التّدهور للحضارة الغربية، والحالة السيكولوجية المؤسّسة لعقلية العالم – الثالثوي.

(أ) – موقف الشيخ الخديم τ تجاه الحضارة الغربية:

1- إظهار التحالف المتين بين اليهود والنّصارى على حدّ تعبير المقولة السائرة: "الكفر ملّة واحدة"، يقول الشيخ الخديم τ:

وبعدُ فالمجوس والنّصــــارى صاروا لإبليس الغَوي أسارى

2 - جسّ النبض لحالتهم النفسيّة وتتمثل نتيجة إلى إعتبار بداية النّهاية لأفول الحضارة الغربية فقال: "ورفعهم إلى انخفاض صارا".

(ب) – أسباب التّدهور والإضمحلال للحضارة الغربيّة:

يقول الشيخ τ:

يسعون في اللّيل وفي النّهار لجالب لّغــضب الجبّـــار

كبيرهم لا يرحم الصّغيرا صغيرهم لا يَتْبع الكــبيرا

وضيّعوا أعمارهم جميعــا في كلّ فعل يسخط البديعا

---

[293] صاحب كتاب "تجديد التفكير الدّينيّ".

[294] والصنميّة هنا تعني اعتبار المادة غاية قصوى للوجود الإنساني.(كما يذهب إليه الككيّ أيضا).

[295] ــ وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع (الككي) - طوبى – يوم الخميس 02 / 07 / 2009م .

وجرّهم إبليس للعصيان وللتّجرّإ وللخســـــران

وغرّهم بكيده حتى طغَوا في كلّ بلدان جميعا وبغَوا

ويكون مكمن الدّاء في غياب القيم والمثل العليا في المجتمع الغربيّ مجتمع المنفعة الخالصة[296].

وكذلك العلم في الحضارة الغربيّة غير مسخّر لأهداف إنسانيّة، بل هو متمرغ كما يقول الشّيخ τ: "في كلّ فعل يسخط البديعا"، وذلك العنجهيّة التي تصتبغ بها الحضارة الغربيّة حتّى أدّت بهم كما يقول الشّيخ τ:

وجرّهم إبليس للعصيان وللتّجرّإ وللخسران

(ج) — الحالة السّيكولوجيّة المؤسّسة لعقليّة العالم — الثالثوي:

وتتمثّل حال هؤلاء بعقدة الدّونيّة في جميع المستويّات من النّخبة حتّى العامّة يقول الشّيخ τ:

وظنّهم أهل الهوى والجهل لشأنهم أهـــــلَ العلى والفضـــل

وظنّهم كلّ سفيه غُمــــــر سادات أهـــــل ذي الجلال الغرّ

وظنّ من لّم يعقلوا واغترّوا أنّهم هـــــمُ الكـــرام الغـــــــرّ

وطاوعوهم بالزّنى والسّرَقه وغير ذَيْنِ من فعـــــال الفســـقه

وبعضهم قد نسي الجليــلا لخوفهـــم ونســـــي الرّســـــولا

ومنهمُ من أهمل الطّـــاعات وفوّض الأمـــر إلى العــــصــــاة

لجهله أنّ جميع الأمــــــــر للخالق الرّحمان ربّ الــقـــــــدْر

ومنهُمُ المخلّ بالصّــــــلاة بسرعة في كـــلّ مـــا أوقـــــات

تراه حيثما الصّلاة تحــضر مستعجلا كمثل ديك ينـــقـــر

وقلبه يجول في البلـــــدان والجسم قائم بلا عــــرفــــان

يوجله احتيال أكل وشراب مضطرب القلب لجبن واستراب

لجهله أنّ إله الخـــــلـــق ضمن للخلق جميـــــع الـــــزّرق

---

[296]- أي البراجمانية (pragmatisme)

1 – النّخبة: يرون مثلهم الأعلى هو الحضارة الغربيّة فلا معاصرة ولا تحديث إلاّ بإنتهاج النّهج الغربيّ في كلّ المجالات بداية من قلب الموازين في اعتبار الرّوحانيّات سببا للتّخلف واعتبار المادّية الجارفة بداية لمواكبة العصر.[297]

و العزّة هذه أو المكنة كما يقول الشّيخ τ:

فإنّما العزّة للرّحمان   جميعها ولذوي الإيمان

ولذلك من طلبها بغير اللّه فهو كما يقول الشّيخ τ: " فهو ذو ذلّ سفيه لأَّهِ " .

والنّتيجة المنطقيّة من هذا كلّه رغم إنبهار النخبة من الكليشيهات (القوالب) الغربيّة كالبراجماتيّة فهي نابعة من قوم هم بمثابة أسارى للحرص والحيرة لخلو فلسفاهم من الرّوحانيّة ، وأنّ مسيرهم هو الإضمحلال والفناء يقول الشّيخ τ في تعرية إبستمولوجيّة شديدة الدّقة:

لاتحسبوا المجوس والنّصارى   سوى أسارى الحرص والحيارى

لأنّما عندهمُ استـــــدراج   من حيث لا يـــــدوره إدراج

ولا تظنّوا أنّهم مّــــلوك   بل إنّما كلّهم صُــعلــــوك

والسبب الرئيسي للعاقبة التي تنتظر الحضارة الغربية إن لم يغيّروا مراميهم، فهو خلو الحضارة من الثقافة الهادفة أو بتعبير الإسلام "مكارم الأخلاق".[298] يقول الشيخ τ:

لأنّ من لم يتّبع محمّــــدا   عليه خير الصّلوات سرمــدا

فإنّما مصيره إلى الــرّدى   إذ قوله وفعله لن يُحمـــــدا

أمّا الّذي أحبّه ثمّ اقتــدى   به ففائز ومحمود غـــــدا

---

[297] ــ وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع (الككيّ)- طوبى – يوم السّبت 2009/07/04م

[298] – وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع (الككي) - طوبى – يوم الإثنين 06 / 07 / 2009م .

لأَكِنّ ذَائِه بفضــــــل الله وذاك بالعدل بلا اشتباه

-2 العامّة: يرون بأنّ كلّ ما لاح من مكتسبات الحضارة فهو غربي المنشأ قولا وفعلا وسلوكا، لذلك كان الشيخ τ يمقت من يستقرض المفردات الحضارية من البوتقة الغربية، أنظر حتى القلم الذي نكتب به كان يسمّى في الحوزة المريديّة بـــ (فات انجاي Fatou Ndiaye)، وكانوا يتورّعون في استعمال لفظة فرنسية في مسامرات الطلبة.[299]

(د) – سياق القصيدة: ومما سبق يمكننا أن نستخلص أنّ قراءة الشيخ τ للحضارة الغربية كانت قراءة عن كثب وتجربة . وهي قراءة سنغالية للحضارة الغربية، بمعنى أن القارئ هو الحضارة السنغالية بكل أبعادها ممثلة في شخص الشيخ العبد الخديم τ.

وكان زمن القراءة كما رجّحنا هو الغيبة البحرية حيث كان الشيخ يحتكّ بالنّصارى وكيدهم دون حاجز أو حائل يقيه سوءاهم، مثلا كان الشيخ τ يتنقّل مع جنود النّصارى من منطقة إلى منطقة ويساكنهم بكلّ ما لهم من هرج ومرج وحياة المجون، حيث القيم ناكسة راياها ترتفع إلاّ راية واحدة وهي عمامة الشيخ τ وتمثل الإسلام.

وهكذا تكون القصيدة بمثابة حفرية إبستمو – سيكولوجية للبنى المؤسّسة لعقلية العالم – الثالثوي، وهو خطاب ألمح إليه من قبل في مستهلّ كتاباته التجديدية وأعني بالضبط منظومة "مسالك الجنان" الذي كما سبق تعتبر لدى منظري "الخدمة" "مجتمع مسالك الجنان" أو "المجتمع الفاسد" الذي يريد الشيخ τ إصلاحه واستبداله بـــ "مجتمع مطلب الفوزين"[300] توليفة في نسق الصيرورة من الأطروحة إلى نقيضها.

---

[299] – وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع (الككي) – طوبى – يوم السبت 04 / 07 / 2009م .

[300] – أنظر المبحث الثالث (البعد الحضاري).

المبحث الثاني

حوار الأديان / قراءة في رائعة الشيخ الخديم τ الشهيرة بـــ "فُزْتِ"[301]

(أ) – سياق القصيدة: يتجلّى خطابها في الاحتراز من التعصّب الأعمى حتى لا تختلط الأوراق بين الفاعلين في المجتمع الواحد أو العصر الواحد ضمن منظومية مطلقة عن التحديدات التي تفرضها المنافع الآنية بحيث لا يخفى على الشيخ الخديم τ جوهر الديانة النصرانية المحرّفة حيث تمّ تأليه المسيح وأمّه الصديقة مريم – عليهما السلام –.

هكذا يستهلّ الشيخ قصيدته العزيزة بِيَا مَنْ قال في كتابه العزيز : [لا نفرّق بين أحد من رسله][302] تدشينا منه لحوار الأديان في بعده المعرفي الإسلامي أي دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم على مستوى تأصيل الأصول بردّ الديانة النصرانية المحرفة إلى أصولها المسيحية؛ وهي الحنيفة السمحة المتمثلة في قوله تعالى: [إنّ الدّين عند الله الإسلام ...][303].

فمريم – عليها السلام – التي تشدو بأمجادها القصيدة هي مريم الإنسانة والدة الإنسان، الصّديقة والدة الرّسول، لا المرأة المؤلّهة والدة الإله تعالى الله عمّا يصفون. ويمكن استباق النتائج واستخلاص درس هام من خطاب القصيدة ألا وهو: "الإعتراف بالآخر" على المستوى الإنطلوجي دون المستوى الأكسيومي (القيمي) وذلك كأرضية للتحاور بين ندّين وجوديين.[304]

علما بأنّ الشيخ τ كان في خدم المعمعة الوجودية بين تحقيق الذات وإقصاؤُها من طرفي المعادلة: الخديم / المستعمر– بكسر الميم الأخير–.

---

[301]– (البكي) الشيخ أحمد بمب ،"فزتِ"، ــ مخطوط ــ في الشيخ الخديم τ بطوبى، السنغال.

[302] – سورة البقرة، الآية: 285.

[303] سورة آل عمران، الآية: 19.

[304]– وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع (الككي) – طوبى – يوم الخميس 11 / 06 / 2009م..

(ب)- والآن نتطرّق إلى دراسة قصيدة "فُزتِ" لإستكناه المسكوت عنها:

وهذه القصيدة من القصائد النّادرة في بابها حيث يمدح فيها النّاظم شخصيّتين بارزتين من غير أمّة الإسلام وإن كانت تربطه بهما رابطة الأخوة والحبّ في اللّه،علما بأنّ الإسلام الحنيف دين جميع الأنبياء والمرسلين قال تعالى: [إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون][305]

يفتتح القصيدة بترجمة يبيّن فيها غرضه من إنشاء القصيدة ومستندَه فيه.

فالغرض: مدح السّيّدين عيسى وأمّه - عليهما السّلام – خدمة للأخيرة وتهنئة لها ممّا خصّها اللّه تبارك وتعالى من الفضل العظيم حيث جعلها سيّدة نساء العالمين، و يتمنّى أن تنال القصيدة إعجاب الممدوحين وسرورهما.

وأمّا مستندُه منه: فالعقيدة الإسلاميّة الذي تلزم جميع المسلمين بالإيمان بجميع الأنبياء والرّسل والكتب المنزلة من غير تفريق [.....لا نفرّق بين أحد من رسله..][306]. يهنّئ الناظم في مطلع القصيدة السيّدة الممدوحة مريم – عليها السلام – بما خصّها اللّه تبارك وتعالى من الفضل والتّفوّق على نساء العالمين طبقا للقرآن الكريم والعقيدة الإسلاميّة ، قال تعالى: [وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين][307] قال النّاظم :

فزتِ بظرف الحسنات سيّدة لّمحــــسنات

مريم فقتِ موقنـــات عند الّذي لم يدرك

305- سورة الأنبياء، الآية: 92.

306- سورة البقرة، الآية:285.

307- سورة العمران، الآية: 42

ثمّ يمضي فيقول إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق عيسى — عليه السّلام — بقدرته كما خلق آدم — عليه السّلام — وأنّه كلمة ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهذا من شرفها وفضلها وكرامتها ، وأنّ من اعتقد بالسيّدة مريم اعتقادا صحيحا و لم يتخذها إلها يعبد من دون اللّه كان ذلك قربة منه ، وقربا من اللّه تبارك وتعالى يستحقّ به الفوز والفلاح:

كن فيكون لكِ قاد خير رسول لاّانتقاد

وبكِ فاز ذو اعتقاد ولم يكن بمشـــركِ

ثمّ يبيّن أنّ المؤمنين المخلصين المتوجّهين إلى اللّه تبارك وتعالى لطلب مرضاته يتّخذون السّيّدة مريم قدوة ومثلا أعلى فى صدق التّوجّه إلى لله ، والطهارة والصفاء:[308]

لم يخف عند المومنين كونكِ حبّ المذعنين

يا أمّ خير محسنـــين معصومة مّن شـــركِ

ثم يصرّح بأنّ ما دعاه إلى مدحها هو ما ورد في الكتاب والسنّة في ذكر فضلها ومناقبها ومكانتها عند اللّه، وأنّه يطلب المدد والقرب من اللّه بخدمتها:

يقودني لمدحــــكِ ما عنكِ فضلا قد حكي

فزتِ ببشر مُضحك كلّ تقـــيّ مُــــدرك

واجهتكِ اليــوم بما يديــــم لي قوتــا بما

إلى احتوائي شبــما من غير قصــد الدّرك

---

[308]- وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع عافية أحد انيانغ – طوبى يوم الأربعاء 2009/07/01م

ثمّ يمدح الناظم السيّدة مريم بشرف نسبها وعراقة أصولها، فهي شريفة، طاهرة نقيّة بريئة مما رماها به أهلها عندما أتتهم بابنها أوّل مرّة فقالوا: [لقد جئت شيئا فريّا يا أخت هارون...][309] فبرّأها الله سبحانه وتعالى بشهادة إبنها عندما قال:

[إنّي عبد الله أتاني الكتاب...].[310] فالشيخ الناظم يلمّح في هذه الأبيات إلى هذه الواقعة العجيبة منبّها إلى شرفها ومكانتها عند الله:

أنتِ سلالة الكـــرام ما أمّ نحوكِ حـــرام

وأنتِ ذات الإحترام بلا انتحا للشّـــــرك

شكر ربّنا الكـــريم شأنكِ شكرا لاّ يريمْ

ابنكِ نال ما يـــروم عند الّذي لم يـــدرك

ثمّ يبيّن أنّه يقول القصيدة في حقّها حبّا لها في الله وطلبا لمرضاته وقربا منه تعالى، ويرجو من الله العليّ القدير أن يفصح لسانه في مدحها مدحا حسنا طيّبا متقبلا:

رمت بذا من حبّكِ رضى يديم قربــــكِ

من رّبّ ذات حبّك معطي الهدى والنّـــسك

بالله ذي كن فيكون طلبتُ منه أن يكـــون

لكِ نظامي ذا ركون وأن يّطيب منســـكي

ثمّ يمضي فيمدحها ويهنّئها على أنّ الله تبارك وتعالى إختارها لتكون أمّا للسيّد المسيح روح الله الذي هو من خيرة الأنبياء والمرسلين والذي رفعه الله إليه وعصمه من كيد أعدائه [وقولهم إنّا قتلنا

[309] – سورة مريم، الآية : 28.

[310] – سورة مريم، الآية : 30.

المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبّه لهم ... بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما][311]:

يا أمّ روح المالك   يا أمّ جالي الحالك

ابنكِ لا بهالـــك   عند العلي الممسّك

ثم يختم فيبتهل إلى الله عزّ وجلّ أن يبارك في القصيدة بركة ينتفع بها قرّاءها وتجلب لهم الرّفاهية والإزدهار:

بارك فيكِ ذو الجلال   وفي ابنكِ النّافي الضّلال

بما يخلّد الحـــــلال   لقارئ مّمــــسّـــــك

يهدي القصيدة للسيدة مريم متمنيّا قبولها منه ومن الله الكريم الذي يتقبل من المتّقين ومن جملتهم جدّ الممدوحة – عليهما السلام – : [312]

هديّتي خذي بـــلا   ردّ كما تقبّـــــلا

عند كريم قبـــــلا   من جدّكِ المستبرك

[311] – سورة النساء، الآية: 157-158.

[312]– وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم الأبعاء 08 / 07 / 2009م .

المبحث الثالث

البعد الحضاري

بادي ذي بدء نريد أن نتطرّق في هذه القراءة التأمليّة إلى "نظرية الدّولة"[313] في الفكر الخديمي، منظور إليها كنتائج طبيعية لمنظومة "الخدمة" الفكرانيّة وهي: مشروع طموح يدعو إلى لمّ الجهود وتوحيد المنطلقات الفلسفيّة لإيجاد أرضية مشتركة، بلورة للفكر الخديمي على مستوى النخبة.

وحسب المعطيات الأولية يظهر في السطح طرحان أساسيان ألا وهما: "الخدمة"، "مدينة مطلب الفوزين" وقد يشتركان في بناء النظرية، كإطار جدليّ للنسق المعرفي.[314]

"الخدمة" في بعدها الحضاري: ما هي إلاّ حركات إرتدادية تنبثق من ثنائية "الروح" و"المادة" ومتحركة بين قطبيها المتضادين الممثلين في التمثلّ والتجرّد اللذين إن انفك أحدهما عن الآخر صار الأمر في عتمة وجودية لا تنفّس فيه ولا انعتاق.

وهكذا تكون "الخدمة" كمفهوم فلسفي: "كلّ حركة فاعلة ذات قيمة معنوية، قصدية، الطبيعة تؤدى في الخطاب الإنسانيّ تجاه الكون والحياة شكرا لله في أريحية العبودة الحقّة".

وهنا يولد ما يعرف عند منظري الحركة الإصلاحية "المريدية" وخاصة عند (الككيّ) "مجتمع مطلب الفوزين" وهو نقيض "مجتمع مسالك الجنان" الذي شخّص الشيخ أمراضه في أفضح صوره حتى قرّر بأنّ لا نهضة ولا تقدّم ولا الوصول للمسلمين إلى الهدف المرجو والأمثل إلاّ بقطع أوصال جراثيم تلك الأمراض المهلكة فقال:

ولست تحتوي الوصول للجليل بغيـــر قطع العقبات يا نبـــيل[315]

---

[313] – هي إطار تنظميّ لمقولات الفكر في المنظومة المجتمعية، ضمن نطاق الانسان / الزمكان.(كما يذهب إليه الككي أيضا).

[314] – محاضرة (للككي) ، "الخدمة وإشكالية الدولة / رؤية منهجية" – مخطوط – في عهدته.

[315] – (الككي) ، "نظرية الخدمة" ، ص : 8.

ومدينة "مطلب الفوزين": إذن مشروع فلسفيّ لمجتمع حقيقي واقعيّ يؤدي بقاطنيه، إذا تمّ تنفيذه إلى الفوز في الدنيا والآخرة. بتعبير آخر، تهدف إلى وضع مشروع نهضوي حضاريّ ونموذجيّ يسوده الشريعة الإسلامية ينتهي به إلى (فَوْزَيْنِيّة) – من "مطلب الفوزين" – المجتمع فردا وجماعة. وهذا المشروع ... يتّخذ من مبادئ الإسلام الواضحة أسسه ويبتعد كلّ البعد عن الأطروحات النظريّة اليوتوبيّة (المثالية) عند كلّ من أفلاطون[316] وعند الفارابيّ[317] وابن باجة.[318](#)

و"مطلب الفوزين" بوصفه نقيض أطروحة "مسالك الجنان" فهو: «طوبى» بوصفها النموذج المثالي لمدينة "الإنسان الكامل" في تخطي النّهائي لبلوغ اللاّنهائي، على منوال جعل الدنيا مطيّة للآخرة دمجا يتجسّد فيه عالم اللاّنهائي في النّهائي، في صيرورة ترقى إلى إلغاء الثنائيّة التّامّة بين العالمين، كبنية واحدة لأبعاد متشعّبة.[319]

من هنا تظهر لنا جليّا أنّ النجاح في الآخرة (اللاّنهائي) يتطلّب من الإنسان أولا الفلاح[320] في الدنيا (النّهائي) وذلك حصادا في الآخرة.

آن الأوان لكي نتطرّق إلى دراسة وتحليل "مطلب الفوزين" لفكّ رموزها واستنطاق نصوصها الدلالية.

(أ) – البناء المعرفي لـــ "مطلب الفوزين" / القصيدة[321]:

في تعاملنا مع القصيدة، نحاول لمّ شمل الأبعاد المتشعّبة للأطروحة الخديمية المبثوثة في ثنايا الكلمات / المفاهيم ضمن أنساق "الخدمة" / النظرية، وذلك كإطار نهاجي طموح.

---

316 – مؤلف الكتب التالية: "الجمهورية" و"السياسي" و"القوانين".

317 – مؤلف الكتب التالية: "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"الملة" و"السياسية".

318 – صاحب كتاب "تدبير المتوحّد في الفكر الفلسفي الإسلامي". (#) – (انجاي) محمد غالاي ، المرجع نفسه ، ص : 59 .

319 – (الككي) ، "نظرية الخدمة" ، ص : 8.

320 – راجع: القاموس جذر (أفلح) .

321 – وهذه القصيدة هي بحق إسم على مسمّى ؛ وذلك لما تطرح نظريا ، بصيغة الدّعاء ، نظّمها الشيخ الخديم τ أيّام بنائه مدينة طوبى المحروسة.

والشيخ الخديم τ في منظومته المعرفية يستخدم "الدّعاء" كإطار فلسفي يعطي الأولوية للوجود اللاّهوتي على النّاسوتي[322]. وهو ما سيتبلور في مفهوم "الخادم" وهو: تمظهر المخدوم في الدنيا الواقع المتعين المرموز بالسرائر عند أهل هذا الفنّ، أو نفي شهود السوى في تبلورات الوجود اللاّتعين والتّعين، ونعني بذلك نفي التأثير في الكثير والقليل في الموجودات كلّها إلاّ بتدبيره سبحانه وتعالى، وهذا المُعَنْون بترك التدبير عند أهله.[323]

يقول الشيخ الخديم τ:

واجعل بناءيَ بناء عافـيـــه   يجرّني إلى خيور صـــــافيـــه

وجعل بناءيَ بناء علــــم   وعمل بسنّـــــة وحـــــلـــم

وجعل بناءيَ بناء الإهتـــد   ولتكف عنّي كيد كلّ ذي اعتدا[324]

وهكذا نرى صيغة "الدّعاء" في منحنيات موازية:

«واجعل!!»

البناء/المجتمع ⟵ الدولة = بناء عافية ⟵ خيور صافية

البناء/المجتمع ⟵ الدولة = بناء علم وعمل بسنّة ⟵ حلـــم[325]

البناء/المجتمع ⟵ الدولة = بناء الإهتداء ⟵ السلامة[326]

وهذا "البناء" بوصفه مثاليا وأنّه يرتدّ إلى النموذج الإبراهيميّ المنسوج على المنوال المصطفويّ، يتضرّع الشيخ τ في فاتحة القصيدة على لسان إبراهيم – عليه السلام - : [ربّ اجعل

[322] – أنظر: (أغراض الشعر الخديمي) ، صص : 71-73.
[323] – (الككي) ، "الخدمة وإشكالية الدولة ..." المرجع نفسه .
[324] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، "مطلب الفوزين" ، ـــ مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم τ بطوبى، السنغال.
[325] – أي السامح. (كما يذهب إليه الككي ايضا).
[326] – أي الأمن. (كما يذهب إليه الككي ايضا).

هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام[327] ربّ إنّهنّ أضللن كثيرا منّ النّاس فمن تبعني فإنّه منّي ومن عصاني فإنّك غفور رّحيم].[328] وهو بذلك يتحقّق على: [الّذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب].[329]

وتزداد مثالية "مدينة مطلب الفوزين" حين يقول الشيخ – رضي الله عنه وعنّا به – :

واجعل إلهي مسكني طوبى أبد　　مثل اسمها بجاه خير من عبد.

لأنّ "طوبى" هنا تعني: تحقّق "مدينة الإنسان الكامل" الّذي هو غاية الأديان كلّها.[330] هو مدينة تسود فيها الأمن والسلام والصحّة والرّخاءوالإزدهار، وتتوفّر فيها مؤسسات التربيّة والتّعليم، وأماكن العبادة، ويبتعد عنها اللّهو واللّعب والفجور وجميع مظاهر الفساد، ويتّصف أفرادها بالعلم والتّقوى والورع والصّدق،ويلتزمون بالسّنة النّبوية الشّريفة، ويتحلّون بمكارم الأخلاق وحسن الآداب. وتتّضح ذلك خلال الأبيات التالية وهي مقتبسة من القصيدة من أماكن متعدّدة وبشكل يغاير ترتيبها الأصلي:[331]

وجعل حريمنا حريما آمنا　　وكن بحفظه كفيلا ضامنا

وانف الوباء والبلايا كلّها　　عنها وطيّب شربها وأكلها

وكثرنْ خيرات هذا البلد　　ورزقَه ولتكفه عن نّكد

واجلب له الخير من الجهات　　السّتّ واكفها عن الآفات

واجعله دأبا مّسكن التّعلّم　　وموضع الفكرة والتّفهّم

---

[327] – أي المادّيات الحاجية عن الحقائق الإيمانية. (كما يذهب إليه الككي ايضا).

[328] – (البكي) الشيخ أحمد بمب ، "مطلب الفوزين" ، المرجع نفسه .

[329] – المرجع السابق.

[330] – (الككي) ، "الخدمة وإشكالية الدولة..." ، المرجع نفسه.

[331] – وذلك أثناء البحث الميداني في لقاء مع عافية أحمد انيانغ – طوبى – يوم السبت 20 / 06 / 2009م.

ومسكن الإرشاد والتّعلـــيـــم   ومسكن التّصويب والتّفهيـــم

ولتثبتن فيه جماعة تــقيـــم   الصّلوات الخمسَ دأبا يا حكيم

ولتحم داري عـــن الفجـــور   والفسق والباطل في الدّهــــــور

أدعوك أن تجعله دار التّقـــى   والعلم والدّين ودار الإرتـــــقا

ودار إخلاص وصدق وورع   ودار سنّة ومنجى مّـــن بـــدع

وكما نظّر هذا المفهوم الصّوفي الخصب أحد العارفين في النسق المريدي قوله: "الحقيقة إذا سادت لا تجد الشريعة وظيفة[332]؛ لأنّ أهل الحقيقة لا يظلمون ولا يتظالمون".[333]

والآن يسوقنا الحديث إلى بيان مدى وعي الرعيل الأول من المريدين لمرامي مشروع "مجتمع مطلب الفوزين" قبل أن نتعرض لحقيقة "الإنسان الكامل".

(ب) – مفهوم "لَكُبْ طُوبى" Lakkub Tûbâ:[334]

كما نظّره الرعيل الأوّل من المريدين، يجسّد مدى وعي أولئك العارفين بالله لمرامي مشروع الشيخ أحمد الخديم **τ** المعرفي حتى قال "نبراس المريدين" الفاني في الله الشيخ إبراهيم فـــال – متّعنا الله بحبّه – قولته الشهيرة: "ما أكرم سيدي: الحرز[335] ما يفسده يتولّد من داخله".

نعم أنّ محاولة تجسيد بناء صوري، هو ما سيؤدى – حين نرى صورة واقعية بعين مثاليّة – إلى مفارقة أليمة قد تحدث شرخا هو ما نسمّيه مرحلة صيرورية أخرى ضمن منظومة الجدليّة العامّة للفكر المعاش، توليفة فتوليفة، كلّ واحدة تحمل صفات الجذور وبذور الثمرة.[336]

---

[332] – وظيفة: بمعنى الوظيفة الخاصة بقوانين المعاملات المجتمعية كإقامة الحدود، أما قوانين معاملات القلوب، فهي من باطن الشريعة تنبثق.(كما يذهب إليه الككي أيضا).

[333] – (الككي) ، "الخدمة وإشكالية الدولة ... " المرجع نفسه.

[334] – أي سور مدينة طوبى المحروسة وحدودها الايدولوجية (كما يذهب إليه الككي أيضا).

[335] – أي الحصن.

[336] – (الككي) ، "الخدمة وإشكالية الدولة ... " المرجع نفسه.

في محاولتنا لإستنطاق الرموز الدلالية لهذا النصّ نرى أنّ الشيخ إبراهيم فال – رحمه الله – كان يعلم علم اليقين أنّ صياغة النموذج المثالي لــ "مجتمع مطلب الفوزين" أسهل بكثير من تطبيقه في دنيا الواقع المعاش.

(ج) – "**الإنسان الكامل**": هو مشروع فلسفة "الخدمة"، وقد أزاح الشيخ الخديم τ النقاب عن مخدّراته في كثير من كتاباته، مثلا في رائعته "مواهب النافع في مدائح الشافع" نرى كيف أجلى عن تلك القيم الروحانيّة التي هي مدار الإنسان الكامل منذ بزوغ (الخليفة) من عماء العدم إلى جلاء الوجود، من لدن آدم إلى محمد – عليهما السلام – :

يقول الشيخ الخديم τ في "مواهب النافع ... ":

بك أقــود　　بك أفيــد　　يامن يّســود　　ذوي اصطفاء

ذوي العقول　　نهج الرّسول　　ماحي الغفول　　ماحي الخفاء

ذوي الذّكاء　　لذي البهاء　　ماحي الخطاء　　ماحي الجفــاء

وإذا تدبّرنا هذا الخطاب الدّعوي الرزين نرى ما يلي:

.بمحمّد – صلى الله عليه وسلم – أقود وأفيد: من؟ ذوي العقول. إلى؟ نهج الرسول. ماذا يفيد؟ ماحي الغفول، ما حي الخفاء.

أقود وأفيد : من؟ ذوي الذكاء. إلى؟ لذي البهاء، ماذا يفيد؟ ماحي الخطاء، ماحي الجفاء.

من ذاك الكامل؟ [337]

ذاك المطاع　　ذاك الشّجاع　　به يراع　　ذووا الإباء

[337] – (الككي) ، "الشيخ صالح وتوليفة الخدمة / رؤية في أطره التعبيرية"، رسالة الأزهر ، (عدد خاص) العالم الإسلامي يعزي فقيده ، صص : 14-15.

ذاك الوليّ ذاك النّجيّ ذاك الصّفيّ ذو الإجتباء

من هو؟

شمس الشّموس رأس الرّؤوس خير الأنيس للأوليـــــاء

شِـــفا الصُدور ضياء الدّور بدر البدور بادي الضّياء

من هو؟

له البراعـــه له الشّفاعه له جماعـــــه حاوي ارتقاء

إن رّام علما أو رام غنما أو رام ظلما باغي اللّقـــاء

فذاك يهـــدى وذاك يهدى له و يـــردى ذا بـــشَقـــاء

من هو؟

حام نّصـــير داع بـــصـــير ليث نّذير لذي اعتـــداء

مشك لّشاك بشر لّبـــــاك مصغ لّحاك وذي نـــــداء

منج لّسالك مَنجًى لّنا سك جالي حوالك عن ذي ا تّقاء

من هو؟

غنم فقـــــير جبر كسير صيت حقير باغي وقـــــاء

وهو الجـــليّ وهو الخفيّ وهو النّجيّ لـــذي البقاء

له الخـــطاب له الجواب له الصّواب مع الرّضـــاء

(د) – وخلاصة القول في هذا القصيدة :

فالشيخ الخديم τ كما هو واضح وبيّن في هذه القصيدة لم يتخذ من الأطروحة المثالية للفيلسوف الإغريقي أفلاطون التي اتخذ من الخيال الجامح أسسها في تصور "المدينة الفاضلة"، بل اكتفى الشيخ الخديم τ بمبادئ الإسلام وأسسها الواردة في تعاليم القرآن الكريم وفي تعاليم النبي ρ.[338]

فالشيخ الخديم τ هنا يتوافق في نقاط مع الفيلسوف المسلم الفارابي الذي يعدّ من أقدم فلاسفة الإسلام الذين اهتموا إهتماما بالغا برسم ملامح " المدينة الفالضلة " نتيجة اشتغال نفسه بقضية حصول الإنسان على [السعادة] التي يرى من أجل تحقيقها لا بدّ أن تقوم هذه المدينة على أهداف سياسية وأخلاقية .

الفارابي إذن ينطلق في تصوّر مدينته الفاضلة من المنطلق الإسلامي الذي لا يفاضل بين الأجناس على أساس عرقي ، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك حيث نراه يدعوا إلى ضرورة إنشاء حكومة عالمية تضم جميع البشر بمختلف أجناسهم وألوانهم يسود بينهم التعاون، كما شبّه المجتمع بالجسم الإنساني.

وهي دعوة صريحة إلى ضرورة الإجتماع الإنساني، وهو في ذلك يتوافق مع روح الإسلام التي تنبثق من حديث الرسول ρ: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى] [339]

بينما الفيلسوف الإغريقي أفلاطون في مدينته الفاضلة يدعو إلى التفرقة والعنصرية ، وهي دعوة صريحة بالنظر إلى الجنس اليوناني نظرة تميّز عن الباقين. والقمين بالإشارة أيضا أن الفيلسوف الإغريقي أفلاطون في مدينته الفاضلة لم يهتم بنظام الأسرة،كما لم يهتم أيضا بالمرءة،بل يذهب إلى أبعد من ذلك حيث نراه يدعوا إلى شيوعية النساء والأطفال وإلى هدم فكرة االأمومة والأبوة ، بينما الفارابي في مدينته الفاضلة لم يذهب إلى ذلك، فهو لم يدع إلى شيوعية النساء والأطفال، فهو بهذا يتوافق مع الشيخ الخديم τ الذي يجعل صيغة [الدعاء] في منحيات موازية متضرعا إلى ربه عز وجل أن يبعد عن " مجتمع مطلب الفوزين " اللهو واللعب والفجور وجميع مظاهر الفساد وأن يتصف أفراده بالعلم والتقى والورع والصدق ، وأن يلتزم أفراده أيضا بالسنة النبوية المطهرة ، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق وحسن الآداب.

---

[338] – راجع: "دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية: وآثارها ورجالها"، لعبده الشمالي، ط 5، دار صادر، بيروت، 1399هـ / 1979م، صص:250-288. وراجع أيضا: "النزعات المادية ..."، ج 2، صص: 509-515.

[339]– رداه الإمام البخاري في صحيحه

الخاتمة

والهدف الأساسي لهذه الدراسة لم يكن إلا الوقوف على بعض الأفكار الخديمية المسكوت عنها بالبحث والتنقيب ، محاولا استنطاق النصوص الدالة في مؤلفاته ومكتوباته، من أجل ذلك تعرضت في هذه الدراسة الجانب الفكري الفلسفي والأدبي دون الجانب الميتافيزيقي ـــ إلاّ ما ورد عليه دليل تعضدّده – .

تناولت بشكل موجز تاريخ دخول الإسلام واللغة العربية في السنغال وأهم العوامل الذي ساعدت على انتشارها وتوغلها في الأقاليم والمناطق الداخلية. كما تعرضت بشكل موجز أيضا إلى إعطاء نبذة عن الأدب السنغالي العربي ومميّزاته، وعن الشعر الخديمي وأغراضه وخصائصه مع محاولة إبرار جانب الإبتكار والإبداع وأهم الملامح المؤثرة فيه.

لقد حاولت خلال دراسة "الخدمة" ملازمة الدقة والأمانة في نقل المصادر والمراجع مع عدم التحيّز والبعد عن الميولات الشخصية محاولا أقصى جهد ممكن الوصول إلى الموضوعية بتقصي الحقائق التاريخية والمعطيات الإجتماعية مع مراعات الأسلوب والتعبير الرزين واللغة المعترفة في ميدان البحث.

كما اعتمدت خلال الدراسة أيضا على المعطيات الواقعية التي تتمثل في الجوانب الملائمة "للخدمة" مثل: البعد الحضاري والإيدولوجي، وكذلك الجوانب التي قد لا تلائم الكثيرين – في نظرنا – مثل: البعد الميتافيزيقي ولكن ذلك لا يبخسه حقه في الوجود، دون اللجوء إلى التأويلات الفاسدة.

التوصيات والمقترحات

1 ــ مناشدة الباحثين بالقيام بإجراء أبحاث علمية حول"الخدمة " كما طبّقها الشيخ الخديم ، وعاشها أيضا الرعيل الأول من المريدين. وربما سأقوم باجراء بحث حول تلك الجوانب في "نظرية الخدمة" في الدراسات اللاّحقة إذا أتيحت لي الفرصة.

2 ــ عقد دراسة مقارنة بين الشيخ الخديم بوصفه مجدّدا للنهج النبوي الشريف، وبين الذين يتشدّقون بالإنتماء إليه τ دون أدنى معرفة لأسس ومبادئ دعوته - وذلك ربما لقلّة بحثهم و تعمّقهم في مؤلفاته ومكتوباته — إرادة الوقوف على المفارقة الأليمة بين الشيخ المجدّد وأصحاب النوايا المغرضة من الذين يدعون اتباع منهجه الإصلاحي.

3 ــ وأخيرا أناشد أصحاب النفوذ من الطبقة المثقّفة من الجيل الثالث من الشيوخ في مدينة (طوبى) بإتاحة الفرص للباحثين الجادين في حقل العلم والمعرفة، وتمكينهم على اطلاع على المخطوطات الخديمية التي لم تر النور حتى الآن؛ وهي ما تزخر بها مكتبة الشيخ الخديم بــ(طوبى) لعل الباحث يجد فيها ما قد يحدث ثورة علمية أو نهضة معرفية.

فهرس الأعلام حسب الحروف ألفبائية

أهم المصادر والمراجع

أولا: الكتب

1ـــ (أبادي)فيروز ، " القاموس المحيط " ، ج 4 ، دار الفكر، بيروت.

2ـــ(ابن منظور)أبوالفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ،" لسان العرب "،المجلد الثاني عشر،ط 6، دار صادر، بيروت ، 1417 هـــ / 1997 م.

3 ـــ (باب)سيدي ،"ديوان الشعراء أهل الزوايا الموريتانيين في مزايا الشيخ الخديم سيّد المغاربة جميعا، "طبعت بمطبعته الطوبوية عام 1979م –مخطوط ـــ في مكتبة الشيخ الخديم، طوبى، السنغال.

4-(البكي)أحمد بمب ، "ديوان الفلك المشحون المصنوع من السر والذكر المصون"، ط 1 ، مطبعة الشيخ عبد الأحد البكي، طوبى ،السنغال، 1397 هـــ.

5- (البكي) محمد البشير ، " منن الباقي القديم في سيرة الشيخ الخديم " ـــ مخطوط القاهرة ـــ بدون تاريخ.

6-(التّلري)الحاج حامد بن عثمان الفوتي ، " ديوان الشعراء السنغاليين مع ديوان الشيخ إبراهيم جوب المشعري" ، ط 1، عام 1405 هـــ / 1985م ـــ مخطوط ـــ بمكتبة الشيخ الخديم في طوبى، السنغال.

7-(الحفني)عبد المنعم ، " معجم المصطلحات الصوفية"، ط 1،دار المسيدة ، بيروت ، 1400هـــ / 1980 م.

8- (ديا)عثمان ، " التجانية والأدب السنغالي العربي" ،ج 1، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية و أ دبها ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس ، 1410-1411 هـــ /1989 ـــ 1990 م.

9-(الداية)فائد ، " معجم المصطلحات العلمية العربية " ، ط1 ، دارالفكر المعاصر ، بيروت ، سنة 1999 م .

10-(الزبيدي)محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ،" تاج العروس"، دراسة و تحقيق : عليّ شيري، المجلد السادس عشر ، باب الميم ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع 1414 هـــ / 1994 م.

11-(سيلا)عبد القادر ، " المسلمون في السنغال"، كتاب الأمة، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، شوال 1406هـــ.

12-(سيس)جورتي، " السنغال والثقافة الإسلامية" ، دارشمس المعرفة للطبع النشر والتوزيع ، 28 شارع العيسوية، دار السلام ، 1411هـــ /1989 م .

13-(سلام)صالح ، بحثه تحت عنوان " هل يمكن الحديث عن مكانة لــ (القصائد) في المكتبة العربية ـــ الإسلامية؟ "، دكار، السنغال في 1993/06/17م

14-(ساتي) مهدي ، " مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي في السنغال" ، ط 1 ، المركز الإسلامي الإفريقي ، شعبة البحوث و النشر ، الخرطوم ، السودان ، 1410 هـــ / 1990 م.

15-(شريعتي) عليّ ، " العودة إلى الذات " ، ط 2 ، القاهرة ، 1413 هـــ / 1993م.

16-(صمب)عامر، " الأدب السنغالي العربي" ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398 هـــ / 1978 م.

17-(ضيف)شوقي ، " العصر الجاهلي" ، ط 8 ، دارالمعارف، القاهرة.

18-(الغزالي)أبو حامد ، " إحياء علوم الدين" ، المجلد الخامس، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت (1419 / 1998م)، الملحق الثالث ، "عوارف المعارف"، للشيخ السهروردي.

19-(الفاخوري)حنا ، " تاريخ الأدب العربي" ، ط 12 ، المكتبة البؤلسية، بيروت، 1988 م.

20-(القشيري)أبوالقاسم عبد الكريم ،" رسالة القشيرية"، ج 2 ، (نقلا عن كتاب "دراسات في التصوف والأخلاق " للدكتور سامي عفيفي).

21-(كامل)العبد الله ،" شعراء من الماضي " ، دراسات ونصوص أدبية لعدد من كبار الشعراء الذين أغنوا التراث العربي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1962 م .

22-(كه)شارنو الحبيب ،"الثقافة العربية الإسلامية في السنغال نماذج من حضور اللغة العربية"، مراجعة: الخليل النحوي ، من منشورات المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ، تونس، 1994 م.

23-(كاه) محمد انجما،" أغراض الشعر السنغالي العربي " ، بحث لنيل شهادة متريز ، جامعة الشيخ أنت جوب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، دكار، 2006 / 2007م.

24-(الككيّ)، مصطفي جوب ، "نظرية الخدمة" (الورقة المريدية)، ملتقى تيكماطين السنوي للفكر الإسلامي، الدورة السادسة من 14ـــ 15 يوليو 2006 م ، في موريتانيا.

25-(لوح) عبد الرحمان،"الذكرى المئوية لنفي الشيخ الخديم ـــ عليه رضوان الله الباقي القديم ـــ جيسش جيتش ".

26-(لا لاند)أندريه ، " موسوعة لا لا ند الفلسفية " [vocabulaire technique et critique de la philosophie]، ترجمة : خليل أحمد خليل، المجلد الثالث، ط1 ، منشورات عويدات، بيروت ــ باريس ، 1996 . م

27-(مروة)حسين، " النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية"، ط 4 ، ج 2، دار الفارابي، بيروت، 1981م

28-(نديجين)شيخ عمر،" الشيخ أحمد بمب امباكي وحياته الشعرية " ، بحث لنيل درجة دبلوم ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث و الدراسات الأدبية ، القاهرة 1996 م .

29-(ويل)مصطفى ، " تصوّر مقترح لتصميم اللغة العربية للمرحلة الثانوية العمومية في السنغال"، رسالة ما جبستير، الخرطوم ، السودان ، 2006 م.

ثانيا: <u>الدوريات</u>

30- (انيانغ)عافية أحمد ، " المريدية و الإسلام في السنغال: معالم و آفاق" ، رسالة الأزهر، مجلة ثقافية إسلامية،تصدرها اللجنة الثقافية العلمية التابعة للإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالسنغال.

31-(انجاي)محمد غالاي ، " الوعي المريدي" ، مجلة ثقافية علمية تصدرها (نادي الوعي المريدي)، العدد الأول ، بروكسيل، مايو 2008 م.

32-(قدر ماري)بابكر حسن ، " المجلة العربية للدراسات اللغوية " ، العدد 11 ، السودان.

33-(اليعلاوي)محمد ، " حساب الجمل أو التاريخ بالحروف" ، في حوليات الجامعة التونسية VIII / 1971 م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

34- (الككيّ)،مصطفي جوب ، " الشيخ صالح وتوليفة الخدمة / رؤية في أطره التعبيرية" ، رسالة الأزهر (عدد خاص)العالم الإسلامي يعـــــزي فــقـــيده: www.alazhartouba.org

35 ــــ (الداغاني)محمد الأمين جوب ، "إغناء العديم بخبايا أوراد الخديم": www.wikimouridiya.org

36 ـــ (الداغاني)محمد الأمين جوب ، " إرواء النديم من عذب حبّ الخديم " ، الطبعة الإيطالية جانفي 2007 م : www.ibdiopyaci02@yahoo.it

رابعا : أهـــم المصادر

37-" القرآن الكريم"، بالرسم العثماني، طبع بتصريح مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف تحت رقم:583، في 31 / 08 / 1989 م، مطبعة دار الغد العربي.

فهرس الموضوعات